

سفارات السلام بين دولة المماليك ومغول فارس زمن السلطان المنصور قلاوون

د. أحمد هاشم بدرشيني

أستاذ مشارك بكلية الآداب جامعة طيبة المدينة المنورة

منذ مطلع القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، شهد العالم الإسلامي هجوماً شرساً قامت به جموع وثنية غفيرة، جاءت من أواسط الصين، وبالتحديد من هضبة منغوليا، هذه الجموع هي التي أطلق عليها المغول أو التتار، واتسمت هذه الهجمة بالتخريب والتدمير، وزاد من خطورة هذه الجموع أنها لم تدين بدين سماوي، وإنما كانت وثنية لم تحترم عهوداً ولا أماناً، فمالوا إلى الوحشية والقسوة في معاملاتهم^(١).

وفي فترة وجيزة استطاعت هذه الجموع غزو معظم بلاد العالم الإسلامي، حيث حطموا الدولة الخوارزمية^(٢)، ثم أتوا على بغداد وأسقطوا الخلافة العباسية، وقتلوا الخليفة المستعصم بالله العباسي (٦٤٠-٦٥٦هـ/١٢٤٢-١٢٥٨م)^(٣)، ثم تابعوا زحفهم في اتجاه

(١) عرفت عقيدة المغول الوثنية بالشامانية، وتنسب إلى لفظ شامان وهو لقب لرجل الدين في هذه الأماكن، ويقوم بعدة وظائف فهو رجل دولة وساحر وطبيب ومشرع سياسي، وانتشرت هذه الديانة بصحراء سيبيريا. انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، طبعة بيروت ١٩٦٦م، ج ١٢، ص ٣٦٠؛ رشيد الدين الهمذاني: جامع التواريخ، ترجمة محمد صادق نشأت وآخرين، القاهرة ١٩٦٠م، المجلد الثاني، ج ٢، ص ٢٢٠؛ القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، نشر دار الكتب المصرية دت، ج ٤، ص ٣١٠.

(٢) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، نشر وتحقيق حافظ أحمد حمدي، القاهرة ١٩٥٣م، ص ٤٢-١٠٦؛ الجويني: جهان كشاي، تاريخ فاتح العالم، ترجمة السباعي محمد السباعي، القاهرة ٢٠٠٧م، ج ١، ص ١٤٠-١٥١؛ انظر أيضاً: محمد أسد الله صفا: جنكيزخان، بيروت ١٩٨٨م، ص ٢١٥-٢٢٢؛ محمد دهر سياتي: السلطان جلال الدين خوارزم شاه في ميزان التاريخ، ترجمة: أحمد الخولي: القاهرة ٢٠٠٩م، ص ٤١-٦٨.

(٣) الهمذاني: جامع التواريخ، المجلد الثاني، الجزء الأول، ص ٢٨٥؛ أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية بالقاهرة ١٣٢٥هـ، ج ٣، ص ١٩٤؛ خواندير: دستور الوزراء، ترجمة

بلاد الشام، حيث دانت لهم معظم مدنه، سواء بالاستسلام أو بقوة السلاح^(٤)، مما جعل كثيرا من المؤرخين المعاصرين يتعجبون من هذه الانتصارات السريعة؛ التي أحرزها المغول في تلك الفترة الوجيزة.

غير أن الله سبحانه وتعالى كتب لأمة الإسلام أن تنتصر على هذه الجموع الوثنية، فقام السلطان المظفر قطز، سلطان دولة المماليك في مصر والشام (٦٥٧-٦٥٨هـ/ ١٢٥٩-١٢٦٠م) بالتصدي لهم في معركة عين جالوت عام ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م، وأحرز انتصارا كبيرا عليهم^(٥)، مما جعلهم يرتدون إلى إيران، حيث أقاموا بها دولة لهم أطلق عليهم اسم "الدولة الإيلخانية"، وضع أساسها هولاكوخان^(٦).

حربي أمين سليمان، القاهرة ١٩٨٠م، ص ٢٠٨؛ انظر أيضا: حامد زيان: سقوط بغداد، مقال بمجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة - فرع بني سويف، العدد الخامس، أكتوبر ٢٠٠٣م، ص ٥-٦٦؛ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت ١٩٨١م، ج ٣، ص ٣١١.

(٤) ابن العميد: أخبار الأيوبيين، نشر Cahen في

Bulletin d'etudes Orientales, Paris Tom xv, p.

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

اليوناني: ذيل امرأة الزمان، حيدر آباد - الهند ١٩٦٠م، ج ١، ص ٣٤٤.

(٥) أبو شامة: تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، نشر السيد عزت العطار، بيروت ١٩٧٤م، ص ٢٠٧؛ المقرئزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، القاهرة ١٩٥٧م، ج ١، ق ٢، ص ٤٣٠؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نشر دار الكتب المصرية دزت، ج ٧، ص ٩١؛ انظر أيضا: حامد زيان: المماليك، التاريخ السياسي، القاهرة ٢٠١١م، ص ٦٠-٥٢.

- عين جالوت: بلدة بين بيسان وتابلس من أعمال فلسطين. ياقوت الحموي: معجم البلدان، نشر دار صادر، بيروت ١٩٥٧م، ج ٤، ص ١٧٧.

(٦) الهمذاني: جامع التواريخ، المجلد الثاني، الجزء الثاني، ص ٩-١٨٩؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، بولاق - مصر ١٢٨٤هـ، ج ٥، ص ٥٤٢-٥٤٦؛ انظر أيضا: فؤاد = عبدالمعطي الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين، الدوحة ١٩٨٧م، ص ٢٧-٣٠.

- الإيلخانيون: اطلق على هذه الدولة هذا الاسم، نسبة إلى كلمة "ايل" المغولية التي تعني خاضع أو مطيع، فيكون المعنى المطيع للخان. انظر: خليل آدم: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، ترجمة أحمد السعيد سليمان، القاهرة ١٩٧٢م، ج ٣، ص ٤٨٠.

وإذا كان هولوكو خان قد توفي عام ٦٦٣هـ/١٢٦٥م، فإن خلفاءه من خانات مغول فارس تابعوا الإغارة على الممتلكات الإسلامية المجاورة لهم، مما أدخلهم في صراع مرير مع سلاطين المماليك أصحاب القوة العسكرية النامية في تلك الفترة^(٧).

وفي محاولة من مغول فارس من أجل الوقوف أمام قوة المماليك العسكرية، حاولوا التحالف مع بعض القوى الأوروبية، وقوة الدولة البيزنطية، وقد رأى الأوربيون، في شخص المغول، عاملاً مساعداً لهم في توجيه حملة صليبية مغولية إلى بلاد الشام، لانتزاع بيت المقدس من يد المماليك، غير أن هذه المشاريع الحربية العدائية لم تلبث أن فشلت^(٨).

إزاء ذلك الفشل اضطر خان المغول آباقاخان إلى طلب الصلح من السلطان الظاهر بيبرس، غير أن بيبرس رفض مد يده إلى من تلطخت يده بدماء المسلمين^(٩).

تابع السلطان الظاهر بيبرس كفاحه ضد مغول فارس وأنزل بهم عدة هزائم^(١٠)، كما واصل السلطان المنصور قلاوون (٦٧٩-٦٨٩هـ/١٢٨٠-١٢٩٠م) سياسة الظاهر بيبرس في محاربة مغول فارس، وأنزل بهم هزائم متتالية، كان أشهرها معركة حمص الثانية عام ٦٨٠هـ/١٢٨١م، التي توفي على أثرها أبقا خان غنا وكماً على هذه

(٧) المقرئبي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١، ق ٢، ص ٥٢٤؛ الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين، ص ٣٣-٤٠.

(٨) المقرئبي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١، ق ٢، ص ٥٢٤؛ انظر أيضاً:

Howorth: History of the Mongols, London, pp.

سعيد عاشور: الظاهر بيبرس، القاهرة ١٩٦٣م، ص ٨٩.

(٩) ابن أبيك الدوداري: كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء الثامن المعروف باسم الدرر الزكية في أخبار الدولة التركية، تحقيق: أولرخ هارمان، القاهرة ١٩٧١م، ص ١٣٩-١٤٠؛ ابن كثير: البداية والنهاية، نشر مكتبة المعارف ببيروت ١٩٨٥م، ج ١٣، ص ٢٥٤؛ انظر أيضاً: سعيد عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، القاهرة ١٩٦٥م، ص ٤٣-٤٥.

(١٠) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج ٣، ص ٣-٢؛ المقرئبي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١، ق ٢، ص ٦٠٦-٦٠٧؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٧، ص ١٥٩،

الهزيمة^(١١).

غير أن هذه السياسة العدائية التي سيطرت على علاقة مغول فارس بسلطنة المماليك، في مصر والشام، لم تلبث أن تغيرت بعد أن تولى السلطان أحمد تكودار حكم دولة مغول فارس عام ٦٨١هـ^(١٢).

أما تكودار هذا فهو الابن السابع لهولاكو خان، أمه هي قوتى خاتون^(١٣)، التي دانت بالمسيحية، لذلك أُنرت على ابنها تكودار وهو في طفولته، مما جعله يدين بالمسيحية وتسمى باسم "نيقولا"، وذلك على الرغم من أن والده هولاكو خان، كان وثنيًا على العقيدة البوذية^(١٤).

ولم يلبث تكودار أن اعتنق الدين الإسلامي وهو في مطلع شبابه، أثناء حياة والده هولاكو خان أيضًا^(١٥)، وذلك بعد أن تعرف على هذا الدين من الشيخ كمال الدين

(١١) يقول البرزالي الذي كان معاصرًا لهذه المعركة: " فلما تحقق - أي أبقا خان - الكسرة رجع على عقبه إلى همدان، فمات بها عمًا " انظر: المفتي في كتاب الروضتين المعروف بتاريخ البرزالي، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، بيروت ٢٠٠٦م، ج ١، ص ٥٤٨. وعن هذه المعركة انظر أيضًا: محي الدين بن عبدالظاهر: تشریف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق: مراد كامل، القاهرة ١٩٦١م، ص ٣؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق: محمد أمين، القاهرة ١٩٧٦م، ج ١، ص ٦٢-٦٦٣.

(١٢) تولى أحمد تكودار حكم دولة مغول فارس في يوم الأحد ١٣ ربيع الأول عام ٦٨١هـ / ٢٢ يونيو ١٢٨٢م. انظر: الهمذاني: جامع التواريخ، المجلد الثاني، الجزء الثاني، ص ٩٢.

(١٣) الهمذاني: جامع التواريخ، المجلد الثاني، الجزء الثاني، ص ٨٨. يذكرها المؤرخ محي الدين بن عبدالظاهر باسم: " قوتوخاتون "، راجع: تشریف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، ص ٤.

(١٤) الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين، ص ١٢١.

- يرفض أحد الباحثين المحثين تدين تكودار بالمسيحية، ويعتمد في ذلك على أن الذي أورد تلك المعلومات هو أحد المؤرخين المسيحيين الأرمن، الذي حاول تصوير المغول على أنهم مائلو إلى المسيحية. انظر: رجب محمد عبدالحليم: انتشار الإسلام بين المغول، القاهرة ١٩٨٦م، ص ١٧٨.

(١٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٣، ص ٣١٠.

عبدالرحمن، الذي كان له تأثير كبير على تكودار وعلى عدد كبير من أسرته^(١٦). وعلى هذا النحو اعتنق تكودار الإسلام وهو في سن الصبا، ومما يؤكد اعتناق تكودار للإسلام، وهو في مطلع شبابه، هو اعترافه بذلك، وإقراره أنه اعتنق الإسلام " في عنفوان الصبا، وريعان الحداثة"، في الرسالة التي أرسلها إلى السلطان المنصور قلاوون والتي سيأتي شرحها بإذن الله^(١٧). ولذلك لا صحة لما يذكره بعض المؤرخين من أن تكودار أعلن إسلامه بعد ولايته حكم مغول فارس^(١٨).

كذلك تشير بعض المصادر أنه بعد إسلامه غُيِّرَ اسمه، حيث كان اسمه "أغا تكودار"، فتسمى باسم "أحمد تكودار"^(١٩). ويضيف ابن تغري بردي أنه تسمى باسم أحمد في حياة والده هولأكو^(٢٠)، ويروي الشيخ الذهبي أن سبب هذه التسمية يعود إلى ما

(١٦) محي الدين بن عبدالظاهر : تشریف الأيام والعصور، ص ٤٨.

ويذكر محي الدين بن عبدالظاهر أن الشيخ كمال الدين عبدالرحمن يعود أصله إلى الموصل، وكان يعرف بعبدالرحمن النجار، وهو في الأصل كان مملوكاً. انظر : تشریف الأيام والعصور، ص ٤٨؛ ويذكر ابن الفوطي أن والده كان مملوكاً رومياً للخليفة المستعصم بالله، ونشأ عبدالرحمن في بيت الخلافة وعمل كأحد الفراهسين، وعند هجوم المغول على بغداد وقع في أسرهم، وحملوه معهم إلى معسكرهم (الأردو) ثم أظهر الزهد حتى عُرف فيهم بالشيخ، ثم تنقل بين البلاد حتى ذهب إلى الموصل، حيث اتصل بعز الدين أيبك بن عبدالله المعروف بالطويل الذي كان مولغاً بعلم الكيمياء، فعلمه بعضاً من ذلك العلم، ثم أنه بعد اتصاله بخانات مغول فارس أخذ يوهمهم بمعرفته بالغيب، ويقوم ببعض الأعمال التي جعلتهم يعتقدون فيه. انظر: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، تحقيق : بشار عواد وآخرون، بيروت، ١٩٩٧م، ص ٤٦٨-٤٦٩ (ملحوظة يتشكك محقق كتاب الحوادث الجامعة في نسبه إلى ابن الفوطي).

(١٧) محي الدين بن عبدالظاهر : تشریف الأيام والعصور، ص ٦.

(١٨) بيبرس الدودار : زيد الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق : زبيدة عطا، القاهرة دت، ج ٩، ص ٢٠٢؛ أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر، ج ٤، ص ١٦؛ ابن الوردي : تمة المختصر في أخبار البشر المعروف باسم تاريخ ابن الوردي، تحقيق : أحمد رفعت، بيروت ١٩٧٠م، ج ٢، ص ٣٢٨؛ انظر أيضاً : السيد الباز العريني : المغول، بيروت ١٩٨١م، ص ٣٠٢.

(١٩) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات، المجلد الثامن، تحقيق : قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين، بيروت دت، ص ٤.

(٢٠) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق : محمد أمين، القاهرة ١٩٨٤م، ج ٣، ص ٢٥٥.

حدث من الفقراء الصوفية الأحمدية الذين دخلوا به في النار بين يدي هولاء، فوجه لهم وسماه أحمد^(٢١).

ونخلص من ذلك إلى أن تكودار أسلم وهو في مطلع شبابه، وأنه تسمى باسم أحمد، كل ذلك حدث قبل توليه حكم المغول، ويؤكد على ذلك مؤرخ المغول رشيد الدين الهمذاني بقوله: "ولما كان - أي تكودار - معتقاً للإسلام، فقد لقب بالسلطان أحمد"^(٢٢)، أي أنه لم يتخذ لقب خان، وهو اللقب الفارسي الذي كان يتلقب به حكام دولة مغول فارس، وإنما أثر أن يتخذ لقباً من ألقاب الحكام المسلمين.

وثمة إشارة ذات أهمية، يجب التوقف عندها، وهي ما أشار إليها الكاتب والمؤرخ محي الدين بن عبدالظاهر من قوله: أن الشيخ كمال الدين عبدالرحمن أشار على تكودار باعتراف الإسلام "خديعة ومكرًا"، وذلك حتى يقيم سلاطناً مع السلطان المنصور قلاوون، ويكتفي أمر حكام مصر والشام ويأمن جانبيهم "ويتفرغ لقتال قومه وأقاربه وإخوته وولد أخيه أرغون"^(٢٣). ومعنى ذلك أن محي الدين بن عبد الظاهر يتشكك في إخلاص تكودار للإسلام، وأنه إنما أعلن إسلامه لأهداف سياسية بحتة!! غير أننا لا نستطيع أن نشاع ابن عبد الظاهر في هذا الرأي، خاصة وأن المصادر امتدحت أحمد تكودار وإخلاصه للإسلام والمسلمين^(٢٤)، كما أنه بذل قصارى جهده في حث قومه من المغول على الإسلام، لدرجة أن عزله عن الحكم وما ناله من القتل، بعد ذلك، إنما يعود لهذا السبب، ولغيره من الأسباب^(٢٥).

(٢١) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، بيروت ٢٠٠٥م، ج ١٤، ص ٥٧٧.

(٢٢) جامع التواريخ، المجلد الثاني، ص ٩٢.

(٢٣) تشریف الأيام والعصور، ص ٤٨؛ وانظر كذلك: ابن أبيك الدوداري: كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء الثامن المعروف باسم: الدررة الزكية في أخبار الدولة التركية، ص ٢٤٨.

(٢٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ٣١٠.

(٢٥) يقول أبو الفدا: "كانت خواطر المغل قد تغيرت على أحمد بسبب إسلامه والزامه لهم بالإسلام، فاتفقوا على قتله". المختصر في أخبار البشر، ج ٧، ص ١٧؛ ويقول ابن أبيك الدوداري: " هذا

سارع أحمد تكودار بعد جلوسه على عرش مغول فارس إلى الكتابة إلى أهل بغداد يخبرهم فيها بإسلامه^(٢٦)، ويبعث في قلوبهم الطمأنينة، وأنه سوف يرعى ما ببغداد من مساجد ومدارس، وسوف يقرر لها الأوقاف اللازمة للإنفاق عليها، كما كان الحال أيام الخلفاء العباسيين، وأنه بما من الله عليه بالإسلام، وشهادته بأن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، مؤمن تمام الإيمان بأن يكون المسلمون ومنهم أهل بغداد، من الفئة المنتصرة الظافرة كما قال النبي (ﷺ). وفي ختام الرسالة يطلب من أهل بغداد أن يرسلوا نسخاً من هذه الرسالة إلى كافة الجهات حتى تطمئن القلوب^(٢٧).

ويتبادر إلى الذهن سؤال، ما هي الأسباب التي دفعت أحمد تكودار للكتابة إلى أهل بغداد دون غيرهم من أهل البلاد الإسلامية التي تخضع لحكم مغول فارس؟ والمعروف أن مغول فارس بسطوا نفوذهم على كل من العراق وخراسان وآذربيجان والجزيرة، وبعضى من بلاد سلاجقة الروم بآسيا الصغرى^(٢٨).

إن الذي دفع أحمد تكودار للكتابة إلى أهل بغداد بهذه الرسالة، هو علمه بما قام به جده هولوكو من تخريب وتدمير لما ببغداد من مساجد ومدارس، وقتله للعديد من علمائها وفقهائها^(٢٩)، لذلك أراد أن يرسل عنهم آثار هذه الاعتداءات، ومن ناحية أخرى أراد أن يخبرهم

عسى أحمد أغا قد أسلم، وغير ما أسسه جنكزخان". الدرّة الزكية في أخبار الدولة التركية، ص ٢٦٤؛ ويقول بيبرس الدوداري: "قتل السلطان أحمد لأسباب منها إساءته إلى أكابرهم ومنها الزامه إياهم بالدخول في الإسلام طوعاً أو كرهاً". انظر: زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، ج ٩، ص ٢٢١؛ وانظر أيضاً تحقيق دونالد س. رنشارلز، بيروت ١٩٩٨م، ص ٢٣٧؛ ويذكر أيضاً ابن خلدون: "أن أهل مصر كرهوا كانوا ينقمون عليه إسلامه، فثاروا عليه وقتلوا نائبه ثم قتلوه". انظر: العبر وديوان المبتدأ والخبر، بولاق مصر ١٢٨٤هـ، ج ٥، ص ٥٤٦.

(^{٢٦}) انظر نص هذه الرسالة عند محي الدين بن عبد الظاهر: تشریف الأيام والعصور، ص ٥، وملحق رقم (١).

(^{٢٧}) محي الدين بن عبد الظاهر: تشریف الأيام والعصور، ص ٥؛ بيبرس الدودار: زبدة الفكرة، ج ٩، ص ٢٠٢-٢٠٣.

(^{٢٨}) انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج ١٤، ص ٥٧٧.

(^{٢٩}) عسا قام به هولوكو من أعمال تدمير وتخريب وقتل ببغداد انظر: رشيد الدين الهمداني: جامع التواريخ،

أنه لن يقوم بالإغارة على بغداد ونهبها، كما فعل أسلافه من حكام دولة مغول فارس السابقين، بل على العكس، سيوف تتعم بغداد في عهده بالأمن والطمأنينة^(٣٠).

بالإضافة إلى ذلك فإن الكاتب والمؤرخ محي الدين بن عبد الظاهر ذكر نصاً ذا أهمية كبيرة في هذا الشأن، ويفسر هذا النص أيضاً تحركات مغول فارس بعد ذلك، يقول ابن عبد الظاهر : " ولما جرى ذلك - يقصد تنصيب أحمد تكودار على عرش المغول - تحدثوا فيما بينهم في أن قدرتهم قد ضعفت، ورجالهم قُتلت، وأن المسلمين كلما راحوا في قوة، وأنه لا حيلة في هذا الوقت أتم من إظهار الإسلام^(٣١).

يفهم من هذا النص أن من أهم الأسباب التي دفعت أحمد تكودار إلى الكتابة لأهل بغداد، ثم مراسلة السلطان المنصور قلاوون بعد ذلك، هو كما ذكر محي الدين ابن عبد الظاهر؛ للتقرب إلى المسلمين الذين أصبحوا في قوة، بينما بدأ الضعف ينتاب دولة مغول فارس.

وسيراً على السياسة الجديدة لدولة مغول فارس (الدولة الإيلخانية) في التقرب إلى المسلمين، فكر السلطان أحمد تكودار في إنهاء حالة الحرب القائمة مع دولة المماليك في مصر والشام^(٣٢)، تلك الحرب التي لم تهدأ منذ أن أسس جدّه هولاكو هذه الدولة، واستمرت مشتتة بعد وفاته أثناء حكم أبنائه من بعده، وازدادت اشتعالاً أيام أباقا خان الذي توفي على إثر إصابته بالغم والنكد، عقب هزيمته أمام المماليك في معركة حمص الثانية، عام ٦٨٠هـ/١٢٨١م، كما سبقت الإشارة.

المجلد الثاني، الجزء الأول، ص ٢٩١؛ أبو شامة : تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، ص ١٩٨-١٩٩؛ ابن العميد : أخبار الأيوبيين، ص ١٦٦؛ خواندمير : دستور الوزراء، ص ٢٠٩.

(٣٠) وعن الإغارات الممتالية التي قام بها حكام مغول فارس على بغداد، انظر : المقرئزي : السلوك لمعرفة دولة الملوك، ج ١، ق ٢، ص ٤٦٧، ٥١٠، ٥١١.

(٣١) تشریف الأيام والصور في سيرة الملك المنصور، ص ٤.

(٣٢) ابن العربي: تاريخ مختصر الدول، غنى بتصحيحه الأب أنطون اليسوعي، لبنان ١٩٨٣م، ص ٥٠٦.

وتنفيذاً لمبادرة إقامة هذه العلاقات الطيبة؛ بادر أحمد تكودار في شهر شعبان عام ١٢٨٢هـ/ نوفمبر ١٩٦٢م بإرسال سفارة إلى الديار المصرية، برئاسة الشيخ قطب الدين محمود بن مصلح الشيرازي قاضي سيواس، وعضوية الأمير بهاء الدين أتابك السلطان مسعود صاحب الروم، والصاحب شمس الدين محمد بن الصاحب شرف الدين بن التيتي وزير ماردين^(٣٣)، وفي صحبتهم كما يقول محي الدين بن عبدالظاهر "جماعة كبيرة من أتباع وأشياخ وعلمان ومماليك وخواص وتجمال عظيم"^(٣٤). وذلك لمقابلة السلطان المنصور قلاوون، وأداء الرسالة التي وجهها إليه أحمد تكودار، ومخاطبته شفهاً في إقامة سلام بين الدولتين^(٣٥).

أما الذي دفع السلطان أحمد تكودار إلى التقرب من السلطان المنصور قلاوون

(٣٣) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص ٤٦٢؛ المقرئ: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١، ق ٣، ص ١٧٠٧؛ يذكر رشيد الدين الهمداني أن اختيار هذا الوفد كان بمشورة الشيخ كمال الدين عبدالرحمن. انظر: جامع التواريخ، المجلد الثاني، الجزء الثاني، ص ٩٧.

- سيواس: مدينة أسيا الصغرى؛ من أملاك منلاجة الروم؛ وقد استولى عليها مغول فارس. انظر: القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، نشر دار بيروت للطباعة، بيروت ١٩٧٩م، ص ٥٣٧؛ زامباور: معجم الأنساب والأميرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة: زكي محمد حسن وآخرون، القاهرة ١٩٧٢م، ج ٢، ص ٢٣٢.

- ماردين: مدينة بها قلعة مشهورة، تقع على جبل مشرفة على دنيسر ودارا ونصيبين. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٨-٣٩.

- الصاحب: لقب حملة الوزراء، أول من حمله كافي الكفاة إسماعيل بن عباد، وكان السبب في ذلك أنه كان يصحب الأستاذ ابن العميد، فكانوا يقولون صاحب ابن العميد، ثم غلب عليه هذا اللقب. انظر: القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج ١، ص ٤١٧.

(٣٤) تشریف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، ص ٥٠؛ أبو القدا: المختصر في أخبار البشر، ج ٣، ص ١٦.

(٣٥) محي الدين بن عبدالظاهر: تشریف الأيام والعصور، ص ٦.

على الرغم من أن المؤرخ بيبرس الدوادار كان معاصراً لتلك السفارة، إلا أنه لم يشر إليها، وأشار فقط إلى السفارة الثانية التي جاء على رأسها الشيخ كمال الدين عبدالرحمن. انظر: زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، ص ٢٢٣-٢٢٤.

فهو، كما يقول المؤرخ الإنجليزي هورث Howorth، أن قلاوون كان في تلك الفترة زعيماً للعالم الإسلامي، وتصبوا إليه معظم القوى في تلك الفترة^(٣٦)، ويصدق حديث هورث إلى حد كبير، فقد وصلت دولة المماليك في تلك الفترة إلى درجة كبيرة من القوة جعلتها تتزعم العالم الإسلامي، حيث نظر حكام جميع الدولة الإسلامية إلى سلطنة المماليك نظرة كلها احترام وتبجيل^(٣٧).

ومن جهة ثانية يفهم من كتابات المؤرخين المعاصرين أن وراء هذه السفارة دافعا سياسيا هاما، وهو إقامة علاقات الود مع سلاطين المماليك، حتى يأمن السلطان أحمد تكودار من جانبهم، ويتفرغ لمواجهة الخلافات الداخلية خاصة من جانب ابن أخيه أرغون^(٣٨)، ويؤكد ذلك ما سبق الإشارة إليه؛ عما ذكره محي الدين بن عبد الظاهر من إشارة مستشاري أحمد تكودار عليه بأن يقيم سلاطا مع السلطان قلاوون، حتى يتفرغ " لقتال قومه وأقاربه وأخوته وولد أخيه أرغون"^(٣٩).

ومن ناحية ثالثة، فإن ما بدأ يقتاب دولة مغول فارس من ضعف، وما واكبه من ازدياد قوة دولة المماليك في مصر والشام، كان دافعا أساسيا وراء تلك السفارة، وهو ما أشار إليه المؤرخ محي الدين بن عبد الظاهر بقوله "التقرب إلى مرضي مولانا السلطان - أي قلاوون - واكتفاء بأسه"^(٤٠).

على كل حال، تحركت تلك السفارة من معسكر السلطان أحمد تكودار "الأردو" قاصدة سلطنة المماليك، ولما كانت العلاقات متوترة بين أهالي بلاد الشام ومصر وبين

(٣٦) The Mongols, vol ١, p.

(٣٧) وعن سياسة المماليك الخارجية، وموقف سائر الدول الإسلامية، انظر: علي إبراهيم حسن: تاريخ المماليك البحرية، القاهرة ١٩٦٧م، ص ١٦٨-١٧٩؛ حامد زيان: المماليك، التاريخ السياسي، ص ٦٥-١١٥.

(٣٨) شافع بن علي: الفضل الماثور من سيرة السلطان الملك المنصور، تحقيق: عمر عبدالسلام، بيروت ١٩٩٨م، ص ٩٣.

(٣٩) تشریف الأيام والعصور، ص ٤٨.

(٤٠) تشریف الأيام والعصور، ص ٤.

مغول فارس، فقد خشى السلطان المنصور قلاوون من قيام الأمراء والأهالي بالفتك بهؤلاء السفراء، وذلك لسابق قيام المغول بأعمال وحشية من قتل وسبي للمسلمين، لذلك ما أن علم السلطان المنصور قلاوون بمسير هذه السفارة إليه، إلا وأصدر قراراً بتأمينها، وبالفعل ما أن وصلت هذه السفارة إلى مدينة البيرة، إلا وجدوا في استقبالهم الأمير حسام الدين لاجين الرومي، والأمير سيف الدين كبك، وذلك للقيام بمهمة تأمين سفارة السلطان أحمد تكودار^(١١).

وثمة إشارة وردت في بعض المصادر الإسلامية يجب التوقف عندها، وهي أن السلطان المنصور قلاوون " احتزز عليهم - أي على أعضاء هذه السفارة - ولم يمكن أحداً من الاجتماع بهم "، " وأن أحداً من خلق الله لا يراهم، ولا يجتمع بهم، ولا يتحدث معهم بكلمة"^(١٢). فما هي الأسباب التي دفعت السلطان المنصور قلاوون إلى اتخاذ قرار الاحتراز على هؤلاء الرُسل؟ وإلى الحرص على ألا يجتمع بهم ولا يكلمهم أحد على الإطلاق.

ARCHIVE

http://Archivebeta.Sakhril.com

- (١١) المقرئزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١، ق ٣، ص ٧٠٧.
- البيرة: بلد قرب سُميساط بين حلب والثغور الرومية. انظر: باقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٥٢٦.
- حسام الدين لاجين: أصله مملوك المنصور قلاوون اشتراه ورياه واعتقه ورقاه إلى أن جعله من جملة مماليكه، ثم أمره، وتولى عدة وظائف، وقفز إلى عرش سلطنة المماليك عام ٦٩٦هـ/١٢٩٦م، لكن لم تطل مدة حكمه فقد قُتل في ربيع الأول عام ٦٩٨هـ/يناير ١٢٩٧م. انظر: بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة، ج ٩، ص ٣٠٩-٣١٠؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ٨٥-١١٤.
- الأمير سيف الدين كبك: هو الأمير سيف الدين كبك أو قبيق المنصوري، كان من مماليك السلطان المنصور قلاوون، وترقى وتولى عدة وظائف منها توليته نيابة دمشق ونيابة حماه ونيابة حلب، توفي في آخر جمادى الأولى عام ٧١٠هـ/أكتوبر ١٣١٠م. انظر: اليونيني: ذيل مرآة الزمان، سنوات ٦٩٧-٧١١هـ، تحقيق: حمزة عباس، أبو ظبي ٢٠٠٧م، ج ٢، ص ١٣٥٩-١٣٥٧؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٢١٦.
- (١٢) محي الدين بن عبدالظاهر: تشریف الأيام والعصور، ص ٦؛ أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، ج ٢، ص ٣٢٨؛ ابن الوردي: تئمة المختصر في أخبار البشر، ج ٢، ص ٣٢٨.

إن من أهم الأسباب التي دفعت السلطان المنصور قلاوون إلى الاحتراز على هؤلاء السفراء هو الحرص على حياتهم، فأصدر أمره بإخفائهم عن العيون، وأن تكون تحركاتهم في الليل، وأن يتوجهوا بهم مباشرة إلى الديار المصرية، دون الدخول إلى بلد من البلدان^(٤٣)، وذلك خشية قيام أحد بالاعتداء عليهم من أهالي البلاد، وذلك لسابق قيام المغول بالأعمال الوحشية.

ومن جهة أخرى فقد ضمت هذه السفارة جماعة من رجال المغول؛ كانت مهمتهم القيام بدور التجسس على أحوال دولة المماليك، وهو أمر اشتهر به المغول، فكثيراً ما قامت السفارات التي أرسلها المغول إلى الدول التي جاورتهم بهذا الدور، مثلما حدث مع الدولة الخوارزمية^(٤٤)، وقد أشار العيني صراحة إلى هؤلاء الجواسيس الذين كانوا في صحبة السفارة الثانية، التي أرسلها أحمد تكودار إلى المنصور قلاوون، والتي سوف يأتي شرحها فيما بعد^(٤٥).

كذلك من بين تلك الأسباب: ما اتصف به المغول من مكر ودهاء، والحيل التي استخدموها في تمزيق شمل البلاد والعباد، وإشاعة الفوضى داخل البلد الذي يريدون السيطرة عليه، لذلك خشى السلطان المنصور قلاوون أن يقوم سفراء المغول بالاتصال بكبار قادة وأمراء المماليك، وسحاولة شرائهم بالمال والمناصب، حتى يقفوا إلى جوارهم، خاصة أن مغول فارس فشلوا في استخدام القوة مع دولة المماليك.

إن للمغول سوابق كثيرة في هذا المضمار، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها ما قام به جذهم الأكبر جنكيز خان من الاتصال بوالدة السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه، واتفق معها على ألا تقف إلى جوار ابنها علاء الدين، في مقابل ألا يقرب من ممتلكاتها ويتركها وشأنها^(٤٦)!!

(٤٣) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة، ص ٦٤٢.

(٤٤) النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص ٨٧.

(٤٥) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق : محمد محمد أمين، القاهرة ٢٠١٠م، ج ٢، ص ٢٩٦.

(٤٦) النسوي : سيرة جلال الدين منكبرتي، ص ٩٢-٩٣ عباس إقبال : تاريخ إيران بعد الإسلام، ترجمة

كذلك اتفاق هولاءكو مع الوزير بدر الدين محمد بن العلقمي وزير الخليفة العباسي المستعصم بالله، من أجل العمل على تسليمه بغداد وشخص الخليفة وآل بيته^(٤٧)، ومن بين ما قام به المغول من مكر وخداع؛ اتفاقهم سرًا مع زين الدين الحافظي، الذي نال قدرًا ومكانة كبيرة عند الملك الناصر صلاح الدين الثاني حاكم دمشق، وكان ذا تأثير كبير عليه، فانتهز هولاءكو ثقة الملك الناصر فيه، واتفق معه على خيانة سيده الملك الناصر، وتسليم دمشق للمغول^(٤٨).

وعلى هذا النحو؛ كان السلطان المنصور قلاوون محققًا في الاحتراز على هؤلاء الرسل، وفي العمل على عدم اتصالهم بأحد من أمراء المماليك، حتى لا يقوموا بإغراء أحد من ضعاف النفوس، أو من أولئك الذين يكونون حقذا وكرهاً للسلطان المنصور قلاوون، فيقوموا بخيانتته، وتسهيل مهمة المغول في تحقيق أهدافهم، وبسط نفوذهم على بلاد الشام ومصر. ومن ناحية أخرى، عمل على ألا يتطلع من صحب هؤلاء السفراء من

محمد علاء منصور، القاهرة ١٩٩٠م، ص ٣٦٤.
^(٤٧) ابن الفوطي : الحوادث لجامعة، ص ٣٥٩-٣٦٠، ابن سناكر الكتبي : فوات الوفيات، تحقيق : إحسان عباس، بيروت، ١٩٧٣م. ج ٣، ص ٢٥٢-٢٥٣؛ المقرئزي : السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١، ق ٢، ص ٤٠٠.

- بدر الدين محمد بن العلقمي : هو محمد بن محمد بن علي أبو طالب مؤيد الدين ابن العلقمي، تولى الوزارة للخليفة المستعصم بالله العباسي أربع عشرة سنة، عُرف عنه التشيع، ثم خدم هولاءكو بعد استيلائته على بغداد، لكنهم أهانوه واحتقروه لما قام به من خيانة الخليفة العباسي، واستمر في غم ونكد إلى حين وفاته في أوائل عام ٦٥٧هـ/١٢٥٩م. انظر : الكتبي : فوات الوفيات، ج ٣، ص ٢٥٣-٢٥٣؛ العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق : محمد محمد أمين، القاهرة ٢٠١٠م، ج ١، ص ١٧٠-١٧٢؛ خواند مير: دستور الوزراء، ص ٢٠٩.

^(٤٨) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج ٣، ص ٣١٠-٣١١؛ اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج ٢، ص ١٢٦؛ النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ١٦، تحقيق : محمد ضياء الدين الريس، القاهرة ١٩٩٢م، ص ٣٨٦.

- زين الدين الحافظي : هو سليمان بن المؤيد بن عامر البعرياني، توفي عام ٦٦٢هـ/ ١٢٦٤م. انظر ابن كثير : البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٢٤٤؛ المقرئزي : السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١، ق ٢، ص ٤٢٣.

جواسيس على أحوال المملكة.

وزيادة في الحيلة جَعَلَ هؤلاء السفراء لا يسيرون أثناء النهار، وإنما أمرهم بالمشير أثناء الليل، حتى لا يراهم أحد، وحتى لا يطلعوا هم ومن معهم من الجواسيس على أحوال الدولة، واستمر ذلك حتى وصلوا إلى الديار المصرية، فاستقبلهم السلطان المنصور قلاوون في مقر حكمه بقلعة الجبل، في شهر رجب من نفس العام (١٢٨٢هـ/١٢٨٢م)^(٤١).

وقد وصف شاهد عيان هذه الفترة، المؤرخ شافع بن علي، الهيئة التي كان عليها السلطان المنصور قلاوون أثناء استقباله لهذه السفارة، فقد أحاط نفسه بما له من الهيئة والاحترام، وذلك حتى يبث الخوف والرعب في نفوس هؤلاء السفراء، الذين سوف ينقلون هذه المشاهد لخان المغول السلطان أحمد تكودار. ويضيف شافع بن علي أن المنصور قلاوون 'جلس على منبر ملكه في أحسن الهيئات، وأحسن الصور الحسنات، وقد لبس من المجوهر ما يأخذ الأبصار'^(٤٢).

لم يلبث أن مثل هؤلاء السفراء في حضرة السلطان المنصور قلاوون، حيث أدوا إليه الرسالة التي أرسلها إليه السلطان أحمد تكودار^(٤٣)، والتي كُتبت في منتصف شهر جمادي الأول عام ٦٨١هـ/ أغسطس ١٢٨٢م^(٤٤)، كما أمرهم السلطان أحمد تكودار بمحادثة السلطان المنصور قلاوون شفاهة في أمر الصلح بين الدولتين^(٤٥).

(٤١) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة، ص ٤٦٢.

- مفضل بن أبي الفضائل : النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، نشر بولشيه :

Blochet (E.) : Putrologia Orientalis, Tom , Paris , p.

(٤٢) الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور، ص ١٠١.

(٤٣) ابن إيبك الدوداري : الدر الزكية في أخبار الدولة التركية، ص ٢٤٩.

(٤٤) المقرئبي : السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ٢، ق ٣، ص ٧٠٨.

(٤٥) محي الدين بن عبدالظاهر : تشریف الأيام والعصور، ص ١٦؛ الهمذاني : جامع التواريخ، المجلد

الثاني، الجزء الثاني، ص ٩٧.

بدأ السلطان أحمد تكودار رسالته^(٥١) بشرح تلك الهداية التي هداه الله - جلّ جلاله - له، وإقراره بوحدانيته وروبييته وذلك منذ صباه، وشهادته بأن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويؤكد أنه انشرح صدره بالإسلام، وأنه مال إلى إعلاء كلمة الدين الإسلامي الحنيف، وإصلاح أمور المسلمين.

ونوه السلطان أحمد تكودار في رسالته إلى ما حدث في اجتماع القوريلتاي^(٥٢)، من الموافقة على قرار الخان الراحل أباقا خان، من جمع جيوش المغول ذات الأعداد الغفيرة، التي ملأت الأرض رعباً لبطشها الشديد، وتوجيهها صوب ممتلكات دولة المماليك، إلا أنه - أي السلطان أحمد تكودار - شعر بأن هذا العمل يخالف تماماً ما يجول بخاطره من ضرورة أن يعم السلام والخير للجميع. ذلك الخير الذي يعتبر من أهم ما يقوي شعائر الإسلام، ورأى أنه لا يمكن أن يصدر عنه أمر إلا بما يوجب حقن الدماء، ونشر الأمن والطمأنينة حتى يستريح المسلمون في سائر البلدان، وتخدم نار الفتن، ويعلو ويعظم أمر الله سبحانه وتعالى.

أشار السلطان أحمد تكودار أيضاً في رسالته إلى: أن الذي هداه إلى الإسلام هو الشيخ كمال الدين عبدالرحمن، حيث يعتبره نعم العون في أمور الدين، كما أشار أيضاً إلى أنه لفرط ثقته في كل من القاضي قطب الدين الشيرازي، والأتابك بهاء الدين، عهد إليهم بإداء هذه الرسالة.

أكد السلطان أحمد تكودار إلى ما تصبو إليه همته من إعلاء شأن الدين الإسلامي، وإقامة شعائره، وتعظيم أحكامه والعمل بها، وشرح ما قام به من أعمال لكي يدخل السرور

(٥١) انظر نص هذه الرسالة عند كل من: محي الدين بن عبدالظاهر: تشریف الأيام والعصور، ص ٦-١٠؛ مفصل بن أبي الفضائل: النهج السديد، ص ٥٠٠-٥١٠، وملحق رقم ٢.

(٥٢) القوريلتاي: كلمة مغولية تعني مجلس السلطنة، الذي يجتمع فيه جميع رؤساء المغول لاتخاذ القرارات المهمة مثل اختيار الحكام أو إقرار حرب، وغيرها من المسائل الخطيرة التي لا يريد الخان أن يتفرد بها. انظر: محي الدين بن عبدالظاهر: تشریف الأيام والعصور، ص ٦، هامش ١١ المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٨٣، هامش ٢.

على قلوب المسلمين، فعفا عن كل سينة أو جرم، وقام بإصلاح ما تهدم من المدارس والمساجد والمشاهد، وأوقف الأوقاف العديدة للإنفاق منها على تلك المنشآت، وعمل على أن يصل ريع تلك الأوقاف إلى مستحقيها حسب شروط الواقف، وأغى كل ما استحدث على تلك الأوقاف. وذكر ما قام به من تأمين قوافل الحجيج، وعمل على تسيير تلك القوافل لأداء فريضة الحج، ووضح ما قام به من تسهيل مهمة التجار، فأطلق لهم حرية التنقل بين البلاد في أمن وسلام، ومنع كافة الجنود وحراس الطرق من التعرض لهم بالأذى، وحفظ أموالهم وأرواحهم.

تطرق السلطان أحمد تكودار، بعد ذلك، للحديث عن أولئك الجواسيس الذين كانوا يرتدون زي الصوفية (الفقراء)، والذين شاهدتهم جنود المغول، مما جعلهم يسيؤون الظن بطائفة الصوفية وأهل الصلاح، فقاموا بقتل الكثير منهم، وإغلاق الطرق أمامهم، غير أن السلطان أحمد تكودار ذكر أنه أمر بفتح هذه الطرق لسالكها، سواء أمام التجار أو غيرهم.

وقرر السلطان أحمد تكودار في رسالته أنه يعمل الآن بما يرضي الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم)، ويعمل أيضا على جمع كلمة المسلمين، وإزالة الخلافات بينهم، حتى يأمن الجميع، وناشد السلطان أحمد تكودار سلطان مصر - المنصور قلاوون - بأن يتمسك بالعروة الوثقى، ويسلك الطريق المثلى، ويعمل على اتحاد الكلمة، وتسكين الفتنة، حتى تعم السكينة والطمأنينة.

وفي ختام الرسالة وضع السلطان أحمد تكودار: أنه يدعو ويسعى لإقرار السلام بدلا من الحرب، وأن الله - سبحانه وتعالى - يشكره على تلك المساعي.

وإلى جانب تلك الرسالة، قام أعضاء هذه السفارة بالتحدث مع السلطان المنصور قلاوون مشافهة في أمر إقرار السلام بين الدولتين.

وبعد أن قرأ السلطان المنصور قلاوون رسالة السلطان أحمد تكودار، واستوعب ما جاء بها، ووقف على ما عند رؤساء وأعضاء هذه السفارة من حديث، أمر رئيس ديوان

الإشياء الكاتب محي الدين بن عبدالظاهر بأن يكتب ردًا على تلك الرسالة^(٤٧)، وقد احتوى رد السلطان المنصور على عدة أشياء هي^(٤٨) :

أولاً : بدأ السلطان المنصور قلاوون رسالته بحمد الله الذي أظهر الحق، وجاء بالنصر، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله (ﷺ)، وأشار إلى علمه بأخبار السلطان أحمد تكودار ودخوله في الإسلام من الخطاب الذي وصل إليه، ودعا له بأن يثبتته الله - عزَّ وجلَّ - على هذا الدين القويم، كما أنه قد انشرح صدره لما علمه من اعتناق أحمد تكودار للإسلام منذ صباه، وما حدث بعد ذلك من توليه عرش دولة مغول فارس، لأن الله يصطفي من يوليه العرش من بين أوليائه وعباده الصالحين.

ثانياً : أشار السلطان المنصور قلاوون إلى قرار القوريلتاي من توجيه جيوش المغول لمهاجمة أراضي دولة المماليك، ثم عدم انصياع أحمد تكودار لهذا القرار، وقال له إن هذا تصرف العقلاء الذين يفكرون في عواقب الأمور، لأنهم لو فعلوا ذلك لدارت الدائرة عليهم. وذلك إشارة إلى القوة التي تتمتع بها دولة المماليك، وأن جيوش المماليك سوف ترد على أي هجوم يقوم به المعتدين.

ثالثاً : صرح السلطان المنصور قلاوون بأنه ما دام دخل أحمد تكودار في الإسلام، فقد ذهبت الأحقاد، ولم يعد بينهما حقد ولا عدا، لأن الإيمان كالبنيان يشد بعضه بعضاً.

رابعاً : تحدث السلطان المنصور قلاوون عن الشيخ كمال الدين عبدالرحمن الذي ببركته وكراماته شمل الإسلام كل دار، ودعا بأن يعود الحق إلى أصحابه ببركته، كما أثنى على السفراء الذين حملوا هذه الرسالة، وأنهم قاموا بمهمتهم على أحسن وجه.

(٤٧) كان محي الدين بن عبدالظاهر هو رئيس ديوان الإنشاء في زمن المنصور قلاوون في تلك الفترة، وهو الذي تولى كتابة الرد على رسالة أحمد تكودار. انظر : شافع بن علي : الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور، ص ١٠٢.

(٤٨) انظر نص رسالة السلطان المنصور قلاوون إلى السلطان أحمد تكودار عند كل من : محي = = الدين عبدالظاهر : تشریف الأيام والعصور، ص ١٠-١٦، مفضل بن أبي الفضائل : النهج السديد، ص ٥١١-٥٢٥، وملحق رقم ٣.

خامساً : مدح السلطان المنصور قلاوون الإصلاحات التي قام بها أحمد تكودار في مختلف المدارس والمساجد، وقيامه بتأمين الطرق خاصة أمام الحجيج، وأشار إلى أن هذه الأعمال من شأنها أن تؤدي إلى دوام الملك، وهي من الواجبات الملقاة على عاتق الحكام، ولا يفخر أحد بالقيام بها، أما الذي يحق أن يفخر به هو قيام الحكام برد الممتلكات التي استولوا عليها إلى أصحابها، ويضرب بذلك مثلاً في قيام والد أحمد تكودار باغتصاب بعض ممتلكات السلاجقة وغيرهم، والواجب على من يرى حقاً مغتصباً أن يرده إلى أصحابه، وبذلك تقوى مملكته.

سادساً : أوضح السلطان المنصور قلاوون أنه بمجرد أن علم بإصدار أحمد تكودار أوامره للجنود وحراس الطرق بعدم التعرض لعابري الطرق، إلا وأصدر هو الآخر قراراً بمثل ذلك، حيث أمر نوابه، ومقدمو العسكر، خاصة في المناطق القريبة من حدود دولة مغول فارس، بحراسة الطرق وعدم التعرض لسالكها.

سابعاً : عقّب السلطان المنصور قلاوون على حديث أحمد تكودار عن الجاسوس الذي ارتدى زي الصوفية، وأدى هذا إلى قتل جماعة من هؤلاء الصلحاء، فأشار المنصور قلاوون إلى أن هذا حدث مراراً، وكثيراً ما أرسل المغول جواسيس للاطلاع على بواطن الأمور بدولة المماليك، وتم القبض عليهم، لكن لم يقتلوا وأطلق سراحهم وعفى عنهم.

ثامناً : أوضح السلطان المنصور قلاوون ردّاً على ما أبداه أحمد تكودار من رغبته في إقامة صلح وسلام مع دولة المماليك، أن من يمد يده لإقرار الصلح، لا يستطيع أحد أن يرفضه، ولكن هذا الصلح وهذا السلام لا بد أن يقام على قواعد وأسس ثابتة، حيث يتم عن طريق مواصلة السفراء والرسائل، ثم عاتب أحمد تكودار على الاستشهاد ببعض آيات القرآن الكريم التي أتى بها في غير موضعها، وعاتبه أيضاً على منبه باعتناق الإسلام، واستشهد بقوله تعالى: { قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كُمْ لِلْإِيمَانِ }^(٤٨).

(٤٨) سورة الحجرات، آية ١٦.

تاسعاً : تطرق السلطان المنصور قلاوون لتلك المشافهة التي جرت بينه وبين سفراء أحمد تكودار، حيث أوضحوا أن الله سبحانه وتعالى وسَّع على سلطان مغول فارس، وأنه يحكم بلاداً متسعة ذات خيرات وفيرة، ويذكر السلطان المنصور أنه إذا كان الأمر على ذلك؛ فلماذا ينظر إلى ما في يد غيره من ممتلكات، ويجب الاتفاق أولاً على عدم التطلع إلى أملاك الآخرين، ويعلن السلطان المنصور قلاوون أنه إذا تم الاتفاق على ذلك، يمكن إقامة سلام بين الدولتين، ويؤكد أيضاً على أن الصديق في كثير من الأحيان يكون أقرب من الأب أو الأخ، ويضرب مثلاً بذلك من التاريخ الإسلامي، حيث استقر الدين الإسلامي بفضل الصحابة وليس بسبب الأقرباء.

وقبل أن يختم السلطان قلاوون رسالته؛ أكد على أحمد تكودار أن عليه ألا يعتدي على أراضي المسلمين، ويقوم بأذيتهم، ومتى كُفَّ عن ذلك سكنت الفتنة، وخفقت الدماء، ومن المفروض عليه ألا ينهي عن شيء ويأتي بمثله، ويخبره بأنه توجد بعض أراضي سلاجقة الروم المسلمين مازالت بأيدي المغول، الذين استولوا على خيراتها، وسفكوا دماء أهلها، وسبوا وهتكوا أعراضها.

وفي ختام الرسالة؛ أشار المنصور قلاوون إلى ما حدث أثناء حديثه مع السفراء؛ حول ضرورة إيقاف الإغارات التي يقوم بها المغول على أراضي دولة المماليك، ووجد منهم إصراراً على متابعة تلك الإغارات في حالة عدم إتمام الصلح المنشود^(٩٩). ولذلك دعا السلطان المنصور قلاوون، بدلاً من تلك الإغارات والمناوشات، أن يتم تحديد موعداً ومكاناً للقاء عسكري، وسيكون النصر فيه لمن كتب الله له النصر، وما النصر إلا من عند الله.

يتضح من هذه الرسالة أن السلطان المنصور قلاوون كان لا يثق في مغول فارس،

(٩٩) أشار ابن الفوطي إلى ذلك التهديد، وجاء على لسان السفراء: " فإن أردت المواعدة، فنحن نكف عسكرنا عن قصد بلادك، ونفصح للتجار في السفر كيف شاءوا أمنين، فإن فعلت ذلك وإلا فعين للقتال موضعاً، واعلم أن الله يطالبك بما يسفك بيننا من الدماء". انظر: الحوادث الجامعة، ص ٤٦٢.

فهم يقولون شيئاً ويفعلون شيئاً آخر، ولذلك كان رده واضحاً، وهو إذا كان السلطان أحمد تكودار جاذاً في طلبه من إقامة سلام وصلاح بين الدولتين، فعليه أولاً إعادة الأراضي التي اغتصبها أسلافه خانات المغول، وخاصة ممتلكات سلاجقة الروم، كما يتعهد بعدم الإغارة بعد ذلك على أراضي جيرانه، وإلا فالحرب هي الوسيلة الوحيدة لردع مثل تلك الاعتداءات، وبذلك أظهر السلطان المنصور قلاوون عدم تخوفه من الحرب مع مغول فارس، كما أظهر أيضاً عدم تلهفه على إقامة الصلح معهم.

وبنفس الطريقة التي استقبلت بها دولة المماليك سفارة أحمد تكودار، منذ أن وطأت أقدامهم أراضيها من الاحتراز، والعمل على عدم احتكاكهم بأحد من الأمراء أو الأهالي، ثم تسفيرهم وإعادتهم إلى بلادهم، حيث اصطحبهم الحاجبان الأمير حسام الدين لاجين الرومي، والأمير سيف الدين كبك، وساروا بهم ليلاً حيث خرجوا بهم من قلعة الجبل، في ليلة السبت ثاني رمضان عام ٦٨١هـ / ٥ ديسمبر ١٢٨٢م، حيث وصلوا إلى حلب في سادس شوال من نفس العام، ومن حلب توجهوا إلى بلادهم^(١٠).

لم ييأس السلطان أحمد تكودار من إقامة سلام مع السلطان المنصور قلاوون، فبادر بإرسال سفارة أخرى إلى مصر، على رأسها هذه المرة الشيخ كمال الدين عبدالرحمن. ويفهم من المصادر المعاصرة أن الشيخ كمال الدين عبدالرحمن هو الذي بادر بأن يتولى رئاسة هذه السفارة ويذهب إلى الديار المصرية لمقابلة السلطان المنصور قلاوون، فقد ذكر محي الدين بن عبدالظاهر أن الشيخ كمال الدين عبدالرحمن " أفهم الملك أحمد أنه يُصلح له مولانا السلطان"^(١١)، كما يذكر ابن الفرات أن الشيخ كمال الدين عبدالرحمن " ظن أنه إذا حضر إلى الملك المنصور، تمكن منه، ويتم له في هذه المملكة - أي مملكة سلاطين المماليك في مصر والشام - ما تم له بالعراق"^(١٢). كما يشير ابن الفرات إلى أن السلطان

(١٠) المقرئزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١، ق ٣، ص ٧٠٨.

(١١) تشریف الأيام والعصور، ص ١٢.

(١٢) تاريخ ابن الفرات، الجزء السابع، تحقيق: قسطنطين زريق، بيروت د.ت، ص ٢٧٩.

المنصور قلاوون هو الذي طلب حضور الشيخ كمال الدين عبدالرحمن إلى سلطنة المماليك، وإتمام عقد اتفاقية السلام المنشودة، وقال للسفراء شفاهة : " إنني لا أثق إلا بكلام الشيخ عبدالرحمن، لما أعلم من دينه، وأن حكمه على الملك أغا سلطان وعلى وزيره صاحب ماردين"^(١٣).

والمعروف أن الشيخ كمال الدين عبدالرحمن نال قدراً كبيراً من الاحترام في الدولة الإيلخانية، حيث حظي بمكانة كبيرة عندهم، وقدموه على أنفسهم، وخاصة الدة أحمد تكودار التي اعتقدت في كراماته، وعهدت له بابنهما تكودار في صغره ليقوم برعايته^(١٤). ويذكر المؤرخ ابن الفرات أنه بعد أن تولى أحمد تكودار حكم دولة مغول فارس؛ ازدادت مكانة الشيخ كمال الدين عبدالرحمن، وأصدر أحمد تكودار أوامره بأن يركب الشيخ كمال الدين عبدالرحمن وعلى رأسه الجتر، والسلاحدارية والجمدارية تحيط بموكبه، تشبهها بالملوك " في ساير بلاد العراق والعجم"^(١٥). كما يشير محي الدين بن عبدالظاهر إلى أن

ARCHIVE

(١٣) تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٧٩.

(١٤) ابن الفرات : تاريخه، ج ٢، ص ٢٧٨. <http://Archivebeta.Sakn.net>

سبققت الإشارة إلى أن الشيخ كمال الدين عبدالرحمن كان هو الذي أشار على تكودار بالإسلام، كما أشار إلى ذلك أحمد تكودار في رسالته إلى المنصور قلاوون.

(١٥) تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٧٨.

- الجتر : لفظ فارسي بمعنى المظلة، وهو قبة من الحرير الأصفر، تحمل على رأس الملك على رأس رمح بيد أمير يكون راكباً بجوار الملك، يظله بها من الشمس في المواكب والاحتفالات، يقول عنها العامة "القبة" أو "الطبر". انظر: القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج ٢، ص ١٣٣.

- السلاحدارية : لفظ مكون من مقطعين الأول عربي وهو السلاح، والثاني فارسي وهو دار بمعنى ممسك، فيكون المعنى حامل السلاح أو ممسك السلاح، يقول القلقشندي أن موضوعها هو حمل السلاح للسلطان أو الأمير في مختلف المجامع. انظر : صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج ٤، ص ١٨.

- الجمدارية : لفظ مركب من كلمتين فارسيتين، " جاما " بمعنى الثوب، و" دار " بمعنى ممسك، فيكون المعنى ممسك الثوب، أطلق اللفظ على الشخص الذي يقوم باللباس السلطان أو الأمير ملابسه. انظر : القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج ٥، ص ٤٥٩.

الشيخ كمال الدين عبدالرحمن تحكم في بلاد مغول فارس، وأشرف على الأوقاف في كل أنحاء البلاد، وكانت له سطوة كبيرة، لدرجة أن أحمد تكودار كان يقف بين يديه هو وعشيرته، ويستمع إلى نصائحه، ويطيعه الجميع^(٦٦).

ومن الجدير بالذكر أن هذه السفارة ضمت، إلى جانب الشيخ كمال عبدالرحمن، أحد كبار أمراء المغول وهو المسمى "صمداغو"، والصاحب شمس الدين محمد بن الصاحب شرف الدين التتيقي، والوزير زين الدين صاحب مازدين، وفي صحبتهم مائة وخمسون رجلاً من رجال المغول^(٦٧).

ولاشك في أن السلطان المنصور قلاوون كان على علم تام بما يدور في دولة مغول فارس، وذلك عن طريق الجواسيس والعيون التي كانت ترصد ما يدور داخل تلك الدولة؛ التي ناصب حكامها العداء للمسلمين في كل الأنحاء.

وكان من بين ما وقف عليه السلطان المنصور قلاوون: تلك المكانة الكبيرة التي تمتع بها الشيخ كمال الدين عبدالرحمن في دولة مغول فارس، وتشبهه بالملوك، وركوبه وعلى رأسه الجتر، وحوله السلحدارية والجمدارية، وبأنه سوف يأتي إلى دولة المماليك وهو على هذه الحالة، كما علم أيضاً بأنه صحب معه أعداد من رجال المغول، نحو مائة وخمسين، يندس بينهم بطبيعة الحال جماعة كبيرة من الجواسيس، لرصد ما يدور داخل دولة المماليك^(٦٨). لذلك أخذ في تتبع أخبار هذه السفارة. وكما يقول محي الدين بن عبدالظاهر: "صارت أخباره تصل إلى مولانا السلطان منزلة بمنزلة، ومرحلة بمرحلة"^(٦٩).

وحتى تظهر دولة المماليك بمظهر القوة، وتحافظ على هيبتها، وهيبة حكامها، أصدر السلطان المنصور قلاوون أوامره بالألتقام مثل هذه المواقب، التي تصاحب الشيخ

(٦٦) تشریف الأيام والعصور، ص ٤٨-٤٩.

(٦٧) محي الدين بن عبدالظاهر: تشریف الأيام والعصور، ص ٤٩؛ ابن الفرات: تاريخه، ج ٧، ص ٢٧٩؛ المقرئزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١، ق ٣، ص ٧٢٣.

(٦٨) بدر الدين العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج ٢، ص ٢٩٦.

(٦٩) تشریف الأيام والعصور، ص ٤٩.

كمال الدين عبدالرحمن في داخل دولة المماليك، وكما يقول المؤرخ شافع بن علي المعاصر لتلك الأحداث : " برزت مراسم مولانا السلطان بالكتابة إلى الأمير جمال الدين آقوش الفارس، أحد الأمراء الكبار القديمي الهجرة، المعروفين بالشجاعة في كل أمر وإمرة، بأن يركب لتلقيه من البيرة، وأنه إذا عدى يمنعه من الركوب بالجت، ويقول له: قد صرت في بلاد مولانا السلطان ولا يركب فيها أحد بالجت غيرة" (٧٠).

وبتحليل النص السابق يتضح:

أولاً : أن اختيار السلطان المنصور قلاوون للأمير جمال الدين آقوش للقيام بمهمة استقبال سفارة الشيخ كمال الدين عبدالرحمن لم يأت من فراغ، فقد عُرف عن هذا الأمير القوة والبطش، لدرجة أن المصادر لقبته بـ " قتال السباع" (٧١).

ثانياً : أن السلطان المنصور قلاوون أمر بالآلا يركب الشيخ كمال الدين عبدالرحمن بالجت ولا يحاط بالسلحدارية والجمدارية داخل حدود مملكته، لأن ذلك من شعار الملك، وقد أورد القلقشندي عندما تحدث عن الجت، أنه " من شعارات الملك" (٧٢)، كذلك فإن السلحدارية والجمدارية هما من شعار السلطنة المملوكية، ولا يجوز لأحد أن يتخذهما إلا بإذن السلطان (٧٣).

(٧٠) الفضل الماثور من سيرة السلطان المنصور، ص ١١٤.

- الأمير جمال الدين آقوش بن عبدالله المنصوري، أصله من ممالك المنصور قلاوون، ترقى إلى أن صار من أعيان الأمراء، وتولى عدة وظائف، وكانت له مجموعة من الآثار بالديار المصرية، توفي عام ١٣١٠/٨٧١٠م. انظر : ابن تغري بردي : المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق نبيل محمد عبدالعزيز، القاهرة ١٩٨٥م، الجزء الثالث، ص ٢٦؛ ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق : محمد سيد جاد الحق، القاهرة دت، ج ١، ص ٤٢٧.

(٧١) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٩، ص ٢١٦؛ الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق : فهم شلتوت، القاهرة ١٩٩٨م، ج ١، ص ١٤٥؛ بدر الدين العيني : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج ٥، ص ٢٣٤.

(٧٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج ٢، ص ١٣٣.

(٧٣) القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج ٤، ص ٤٤، ج ٥، ص ٤٥٩.

وما أن علم الشيخ كمال الدين بكل هذه التطورات، وما أقدم عليه رجال السلطان المنصور قلاوون من الاحتراز على هذه السفارة، وعلى مراقبة تلك الجموع التي جاءت بصحبته، إلا وحاول الرجوع من حيث أتى، لكن رجال السلطان المنصور قلاوون منعه من ذلك، وعلى حد قول مفضل بن أبي الفضائل : " لم يمكنه من ذلك، وأغلظوا عليه في القول" (٧٠).

ومن الواضح أن السبب الذي دفع الشيخ كمال الدين عبدالرحمن إلى التفكير في الرجوع وعدم إتمام سفارته، هو قيام رجال السلطان المنصور قلاوون بالتضييق عليه، وعلى أعضاء سفارته، وعدم علم اليقين أنه لن يستطيع القيام بما أراد القيام به، خاصة وأن هيئته وهيئته التي اعتاد عليها، لم تعد موجودة في ظل الإجراءات التي قام بها رجال السلطان المنصور قلاوون، وبذلك لن يؤثر على أحد في دولة المماليك، وخاصة بعد قيام رجال السلطان بعزله تماماً عن سائر أهالي البلاد، وعدم تمكنه من الاتصال بأحد أو التحدث مع أحد.

كذلك من بين الإجراءات التي قام بها الأمير جمال الدين آقوش: فصل وعزل رؤساء هذه السفارة عن سائر الجموع التي رافقتهم، كما منع تلك الجموع من القيام بأي ضجيج أو هرج ولا مرج (٧١). كما حرّض الأمير جمال الدين آقوش على ألا يعلم أحد من أهالي بلاد الشام بوصول هذه السفارة، على الرغم مما ضمته من جموع كبيرة. وذلك وفقاً لأوامر السلطان المنصور قلاوون، لذلك توجه بهم مباشرة بعد وصولهم إلى البيرة، إلى قلعة حلب، حيث وصلوا إليها في ٢٦ شوال عام ٦٨٢هـ/ ٣٠ يناير ١٢٨٣م، دون أن يشعر بهم أحد، وذلك لأنهم ساروا ليلاً والناس نيام، كما أنهم سلكوا بعض الطرق الغير مأهولة بالسكان ولا المارة (٧٢).

(٧١) النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، ص ٥٢٧.

(٧٢) محي الدين بن عبدالظاهر : تشریف الأيام والعصور، ص ٤٩.

(٧٣) محي الدين بن عبدالظاهر : تشریف الأيام والعصور، ص ٤٩.

وعلى هذا النحو كانت أوامر السلطان المنصور قلاوون واضحة تماماً، وخاصة في عدم احتكاك أعضاء هذه السفارة، ولا المصاحبين لها، بأحد من أهالي دولة المماليك في الشام ومصر، وذلك مثلما حدث في السفارة السابقة، وإن كان الأمر مختلف كثير الاختلاف في هذه السفارة، فقد خشي السلطان المنصور قلاوون قيام الشيخ كمال الدين عبدالرحمن بفتنة أحد من أمراء المماليك، وذلك لما ملكه ذلك الشيخ من قوة التأثير، وما يقوم من حيل. وكان السلطان المنصور قلاوون محققاً في هذا التخوف، فقد عُرف الشيخ عبدالرحمن بقوة تأثيره، وما يقوم به من أعمال، ويشير ابن الفرات إلى أن الشيخ كمال الدين عبدالرحمن اشتغل بعلم السيمياء، وملك به عقول مغول فارس، فتمسكوا به^(٧٧).

كذلك من بين الدوافع التي دفعت السلطان المنصور قلاوون: أن هذه السفارة ضمت عددا كبيرا من الجواسيس الذين حضروا لينقلوا صورة كاملة لما عليه حال دولة المماليك، وقد أشار إلى ذلك صراحة المؤرخ بدر الدين العيني بقوله: " ولم يمكن أحد من الاجتماع بهم، بل كانوا في دار رضوان، وغلمااتهم وجواسيسهم بمعزل عنهم^(٧٨)، ولذلك قام الأمير جمال الدين أقوش بعزل هؤلاء الجواسيس، ومن معهم من الظمان وبقية الحاشية، بعيداً عن قيادة السفارة، كما قام بمراقبتهم، وحُرم عليهم التنقل داخل البلاد، والاحتكاك بالأهالي، حتى لا يحصلوا على ما يريدون من معلومات عن أحوال دولة المماليك.

وزيادة في الحيلة، وحتى لا يتقابل أعضاء هذه السفارة ولا الحاشية المرافقة لها أثناء نزولهم بقلعة بحلب، صدرت الأوامر لنانب حلب، الأمير شمس الدين قرا سنقر المنصوري، بإخلاء بعض قاعات قلعة حلب لتنزل بها هذه السفارة. كما منَعوا تماماً من الخروج من هذه القاعات والاحتكاك بأحد، وذلك كما يقول شافع بن علي: " احترازاً من تحيّل "، وأجريت عليهم النفقات اللازمة، وعين لهم من الخدم من يقوم على خدمتهم^(٧٩).

(٧٧) تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٧٨.

(٧٨) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج ٢، ص ٢٩٦.

(٧٩) الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور، ص ١١٤.

- الأمير شمس الدين قرا سنقر: هو الأمير الكبير شمس الدين أبو محمد الجوكندار =

وبعد أن استراحوا بقلعة حلب وقضوا بها عدة أشهر، توجهوا إلى دمشق، حيث اصطحبهم الأمير جمال الدين آقوش ليلاً، وسلك بهم عدة طرق خالية من المارة والسكان، حتى وصلوا إلى قلعة دمشق في ليلة الثلاثاء ثاني عشر ذي الحجة عام ٦٨٢هـ/ ٥ مارس ١٢٨٤م^(٨٠)، حيث أنزلوا بقاعة دار الرضوان، وأغدق عليهم بكثير من النفقات من مآكل ومشرب. ويذكر ابن الفرات أن مبلغ نفقاتهم كانت في اليوم الواحد ألف درهم نفقة، وألف درهم أخرى للأطعمة والحلوى والفاكهة^(٨١). كما تم رعاية خيولهم وما معهم من دواب وآلات^(٨٢).

ومثلما حدث لهذه السفارة، أثناء وجوهم في قلعة حلب، حدث لهم أيضاً في قلعة دمشق، حيث تم الفصل بين رؤسائها وبقية من معها من غلمان وحاشية، فأقام كل فريق منهم في ناحية في قلعة دمشق، وعلى حد تعبير محي الدين بن عبد الظاهر "في أماكن محفوظة"^(٨٣)، كما صدرت الأوامر أيضاً بالأ يتصل بهم أحد* ولا يتحدث معهم، ولا يسمع ما يقولون، ولا يردون عليهم جواباً^(٨٤).

وفي تلك الأثناء اجتمع السلطان المنصور قلاوون ببعض أمرائه، وأجرى معهم المشاورات من أجل اتخاذ قرار بشأن هذه السفارة، وهو ما عبّر عنه شافع بن علي بقوله: "فإن مشورته انعقد مع غقلاء أمرائه، وشيوخ أمرائه"، فتقرر أن يكون مقابلة هذه السفارة

= المنصوري، من أكبر وأجل مماليك البيت المنصوري، اشتراه الملك المنصور في زمان الإمارة، ثم أخذ يترقى، وتولى عدد من الوظائف، وصفه الصفدي بقوله: "وكان من رجالات العلم ودهاتهم... كثير العزم، كبير الحزم"، توفي عام ٧٢٨هـ/١٣٢٨م. انظر: خليل بن أبيك الصفدي: أعيان العصر وأعيان النصر، تحقيق: فالح أحمد البكور، بيروت ١٩٩٨م، ج ٣، ص ١٤٧-١٤٣ ابن حجر الصقلاني: الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٣٣٠-٣٣٢.

(٨٠) محي الدين بن عبد الظاهر: تشریف الأيام والعصور، ص ٤٥؛ ابن الفرات: تاريخه، ج ٧، ص ٢٧٩.

(٨١) تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٧٩.

(٨٢) محي الدين بن عبد الظاهر: تشریف الأيام والعصور، ص ٥٠.

(٨٣) تشریف الأيام والعصور، ص ٥٠.

(٨٤) محي الدين بن عبد الظاهر: تشریف الأيام والعصور، ص ٥٠.

بدمشق^(٨٥).

ولما كان السلطان المنصور قلاوون مشغولاً ببعض المهام داخل القاهرة، لذلك تقرر تأجيل لقاء هذه السفارة إلى العام التالي (٦٨٣هـ/٤٢٨٤م)^(٨٦)، وبالفعل في عام ٦٨٣هـ، توجه السلطان المنصور إلى دمشق، خصيصاً لمقابلة سفارة الشيخ كمال الدين عبدالرحمن^(٨٧)، حيث وصل إليها في يوم السبت ١٢ جمادى الآخرة عام ٦٨٣هـ/ ٢٨ أغسطس ١٢٨٤م^(٨٨).

يذكر المؤرخ ابن الفرات أنه في نفس اليوم الذي وصل فيه السلطان المنصور قلاوون إلى قلعة دمشق، جاءت الأخبار بأن السلطان أحمد تكودار قُتل، وتولى بدلاً منه ابن أخيه أرغون بن أباقا خان بن هولاقو^(٨٩)، وذلك دون أن يعلم بهذه التطورات الشيخ كمال الدين عبدالرحمن وأعضاء سفارته^(٩٠).

وبعد أن استراح السلطان المنصور قلاوون ثلاثة أيام، تم استدعاء الشيخ كمال الدين عبدالرحمن وأعضاء سفارته للمقابلة أمام السلطان المنصور قلاوون^(٩١).

اهتم السلطان المنصور قلاوون بهذه المقابلة اهتماماً كبيراً، فقد أراد أن تكون رسالة إلى مغول فارس تعبر عن قوة دولة المماليك في مصر والشام، فيشير المؤرخون

(٨٥) الفضل الماثور من سيرة السلطان الملك المنصور، ص ١١٤-١١٥.

(٨٦) ابن الفرات : تاريخه، ج ٧، ص ٢٧٩.

(٨٧) يقول التويري : " وكان جُلُّ توجهه إلى الشام، بسبب رسل السلطان أحمد ". انظر : نهاية الأرب في فنون العرب، الجزء ٣١، تحقيق: البلاز العريني، القاهرة ١٩٩٢م، ص ١١٩.

(٨٨) البرزالي : المقتضي على كتاب الروضتين المعروف بتاريخ البرزالي، ج ٢، ص ٤٥؛ المقرئزي : السلوك لمعرفة دولة الملوك، ج ١، ق ٣، ص ٧٢٢.

(٨٩) تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٦٠٥.

يذكر محي الدين بن عبدالظاهر أن السلطان قلاوون علم بوفاة أحمد تكودار، عند وصوله إلى غزة وهو في طريقه إلى دمشق. انظر : تشریف الأيام والعصور، ص ٦٨.

(٩٠) محي الدين بن عبدالظاهر : تشریف الأيام والعصور، ص ٦٨.

(٩١) شافع بن علي : الفضل الماثور من سيرة السلطان الملك المنصور، ص ١١٥.

إلى أنه أنبس ألفا وخمسمائة من مماليكه أقبية أطلس حُمر مطرزة، وكلفتاة زركش، وحوانص ذهب، وأشعل بين يديه ألف وخمسمائة شمعة خمل كل مملوك شمعة^(٩٢). ثم أمر بإدخال سفارة الشيخ كمال الدين عبدالرحمن هو ورفاقه^(٩٣).

ويصف الكاتب والمؤرخ المعاصر لتلك السفارة شافع بن علي، هذه المقابلة بقوله : "جلس مولانا السلطان على كرسي سلطانه في صورة لا شك أنها أحسن صورة، وهيئة تدهش ذوي النظر، وقد تجملت خواص مماليكه بأحسن مدخرها من الملابس"^(٩٤). كما وصف شافع بن علي أيضًا هيئة الشيخ كمال الدين عبدالرحمن عند مقابله السلطان المنصور قلاوون، فقال : " ودخل هذا الشيخ في هيئة الفقراء، معممًا بفوطة مرخاة، لها عذبة بدلق، طوى كُميه وجمجم"^(٩٥).

ويبدو أن الشيخ كمال الدين عبدالرحمن اعتقد أنه بارتداء هذه الملابس، وبهذه الهيئة سيجعل السلطان المنصور قلاوون ومن حوله من حاشية يعتقدون في كراماته، وعلى حد قول محي الدين بن عبدالظاهر فإنه " يستخف عقولاً مثل تلك العقول"^(٩٦). وفي نفس الوقت فإنه أراد ألا يتبع ما كان معمولاً به في مثل تلك الحالات، ويقدم للسلطان المنصور قلاوون ما يستحقه من الاحترام والتقدير، ويقول محي الدين بن عبدالظاهر، الذي كان حاضرًا تلك المقابلة : " فرسم له بتقبييل الأرض، فأبى كبيرًا منه

(٩٢) ابن الفرات : تاريخه، ج ٨، ص ٦؛ النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ٣١، ص ١٠٠.

(٩٣) المقرئزي : السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١، ق ٣، ص ٧٢٢-٧٢٣.

- أقبية : جمع قباء، وهو ثوب ذو أكماس ضيقة، اختلفت أشكاله حسب طبيعة الأماكن والبلاد التي استخدمته. انظر: ماير : الملابس المملوكية، ترجمة : صالح الشيتي، القاهرة دت، ص ٢٥.

- كلفتاه : هي القننوسة. انظر : ماير : الملابس المملوكية، ص ٣٠-٣١.

- حوانص : المفرد حياصة، وهي ما يشد في الوسط القلقشندي. صبح الأعشى، ج ٢، ص ١٣٤.

(٩٤) الفضل الماثور من سيرة السلطان الملك المنصور، ص ١١٥.

(٩٥) الفضل الماثور من سيرة السلطان الملك المنصور، ص ١١٥.

(٩٦) تشریف الأيام والصور، ص ٦٩.

وزهوًا^(٩٧)، فما كان من ممالك السلطان المنصور قلاوون إلا أن " أهوى به إلى الأرض حتى كادت أعضائه تتفسخ عضوًا عضوًا "، ونفس الشيء جرى مع أعضاء الوفد^(٩٨). لم يؤثر هذا الفعل الذي قام به الشيخ كمال الدين عبدالرحمن وأعضاء سفارته على السلطان المنصور قلاوون، فلم يعر ذلك اهتمامًا، ورحب بالشيخ ترحيبًا كبيرًا، وأمر بإجلاسه تعظيمًا لقدره^(٩٩). وسمح له بالحديث هو ورفيقه: الأمير صداغو وشمس الدين بن صاحب^(١٠٠).

وخلال هذه المقابلة قُدم الشيخ كمال الدين عبدالرحمن هدية إلى السلطان المنصور قلاوون، ويصفها شافع بن علي بأنها عبارة عن " صندوق لطيف مقفل، وحين فتحه السلطان وجد به دواة من فولاذ موشاة بالجواهر، ذات إطار من ذهب "، ويضيف شافع بن علي أن السلطان المنصور بعد أن وقف على ما بداخل الصندوق استحقر هذه الهدية، وأنعم بها على الفور على أحد أمرائه^(١٠١).

ويبدو أن الهدية السابقة قدمها الشيخ كمال الدين الفين من عنده، أما هدية السلطان أحمد تكودار، التي قدمها بعد ذلك الشيخ كمال الدين فكانت: تحفًا منها نحو ستين حبل لؤلؤ كبازا، وحجر ياقوت أصفر زنته ما ينيف على مائتي مثقال، وحجر ياقوت أحمر، وقطعة بخلش زنتها اثنان وعشرون درهما^(١٠٢).

وبعد أن تم تقديم الهدايا، قُدم الشيخ كمال الدين عبدالرحمن للسلطان المنصور قلاوون الرسالة التي حملها من السلطان أحمد تكودار، ثم سمح له السلطان المنصور بالتحدث، وأنصت له جيدًا، ثم سمع لأعضاء السفارة بالعودة إلى مقر إقامتهم بقاعة

(٩٧) تشریف الأيام والعصور، ص ٦٩.

(٩٨) محي الدين بن عبدالظاهر : تشریف الأيام والعصور، ص ٦٩.

(٩٩) شافع بن علي : الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور، ص ١١٥.

(١٠٠) العيني : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج ٢، ص ٢٩٧.

(١٠١) الفضل المأثور من سيرة السلطان المنصور، ص ١١٦.

(١٠٢) المقرئزي : السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١، ق ٣، ص ٧٢٣.

الرضوان^(١٠٣).

وتعتبر رسالة أحمد تكودار التي حملها الشيخ كمال الدين عبدالرحمن هي الرسالة الثانية^(١٠٤)، مؤرخة في شهر ربيع الأول عام ٦٨٢هـ/ يونيو ١٢٨٣م في مدينة تبريز، ويوضح تكودار في هذه الرسالة تمسكه بالإسلام، وما يدعو إليه هذا الدين من خلق جميل، وأهم ما فيه هو الدعوة إلى السلام، ونشر الطمأنينة بين البشر، خاصة بين الطائفة الإسلامية، على حد تعبير أحمد تكودار، وتشير الرسالة إلى أن مملكة جنكزخان أوشكت على الضياع والسقوط، وزوال البهجة، وذلك بسبب الخلاف والنزاع الذي حدث بينهم وبين جيرانهم، ولذلك فإن السلطان أحمد تكودار يريد أن يستبدل بذلك النزاع الوئام والاتفاق، ويمحو الأحقاد بإقامة السلام، وأن النزاع القديم لا محل له، لذلك أرسل رسله الذي عبر عنهم بالفارسية بـ 'الإيلجية'، لإقامة هذا السلام، وذلك حتى تسكن الفتن وتزال الخلافات، حقناً لدماء المسلمين.

كما ذكر أحمد تكودار في رسالته، أنه أرسل سفارة الشيخ كمال الدين عبدالرحمن بناء على طلب السلطان المنصور قلاوون، وذلك على الرغم من أنه لا يحتمل بعد الشيخ كمال الدين عنه، لما يقدمه له من استشارات، والاستعانة به في كافة الأمور، وعلى حد تعبير أحمد تكودار: 'هو لنا في أمور الدين نعم العون، ... وأنه الناصح الذي لا ينطق عن الهوى'، كما تحمل الرسالة أيضاً تحذير أحمد تكودار للسلطان المنصور قلاوون، من الانقياد وراء أهل الشقاق الذين لا يريدون إقامة سلام بين الدولتين فيقول: 'فالواجب ألا تسمع أقوالهم، وتترك أفعالهم، أولئك الذين حبطت أعمالهم'، ويتمنى أحمد تكودار في ختام رسالته، ألا يتخذ السلطان المنصور قلاوون قراراً بعكس إرادة أحمد تكودار، الذي يخطب وده، ويريد إقامة السلام بين الجانبين^(١٠٥).

(١٠٣) شافع بن علي: الفضل الماثور من سيرة السلطان الملك المنصور، ص ١١٦.

(١٠٤) راجع نص هذه الرسالة عند محي الدين عبدالظاهر: تشریف الأيام والعصور، ص ٦٩-٧١.

العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج ٢، ص ٢٩٧-٣٠٠، الملحق رقم ٤.

(١٠٥) محي الدين بن عبدالظاهر: تشریف الأيام والعصور، ص ٦٩-٧١.

وقد استدعى السلطان المنصور قلاوون الشيخ كمال الدين عبدالرحمن، هو وأعضاء السفارة، لمقابلته والتحدث معه مرة أخرى، ثم مرة ثالثة، حتى استوعب ما عندهم من أخبار، وما وردوا به من الرسائل^(١٠٦)، على حد قول ابن الفرات^(١٠٧). وفي اللقاء الثالث أخبر السلطان المنصور قلاوون الشيخ كمال الدين عبدالرحمن بمقتل تكودار، وتولية أرغون بن أباقا خان عرش دولة مغول فارس^(١٠٧).

كان لخبر مقتل السلطان أحمد تكودار وقع سيء على أسماع أعضاء السفارة، وخاصة الشيخ كمال الدين عبدالرحمن، لدرجة أن شافع بن علي يقول: "فأسقط في يديه، وأغسى عند سماع هذا الخبر عليه"^(١٠٨)، وهذا بطبيعة الحال لعلمه بأن دولة سلطانه قد ولت بمقتل أحمد تكودار.

كما أن السلطان المنصور قلاوون أصدر أوامره بأن ينقل الشيخ كمال الدين عبدالرحمن، وأعضاء سفارته، من قاعة الرضوان بقلعة دمشق، إلى بعض قاعات القلعة الأخرى، ويتم التحفظ عليهم، وتقليل النفقات المخصصة لهم، بحيث جعل لهم فقط ما يكفيهم، كذلك أصدر أوامره، بأن يتسلم رجاله كل ما معهم من ذهب، وما عساه من هدايا يكون قد أرسلها أحمد تكودار ولم يسلموها له. وقرن السلطان المنصور القول بالفعل، فأرسل لهم الأمير شمس الدين سنقر الأعسر الاستادار، الذي اشتهر بالصرامة والقسوة، لتنفيذ تلك التعليمات^(١٠٩).

(١٠٦) تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٦.

(١٠٧) ابن الفرات: تاريخه، ج ٨، ص ٦.

قتل أحمد تكودار في ليلة الخميس ٢٦ جمادى الأولى عام ٦٨٣هـ / ٢٣ أغسطس ١٢٨٣م، وعن ظروف قتله، انظر: الهمذاني: جامع التواريخ، المجلد الثاني، الجزء الثاني، ص ١١٨-١٢١؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، ج ١، ص ٧٢.

(١٠٨) الفضل الماثور من سيرة الملك المنصور، ص ١١٦.

(١٠٩) ابن الفرات: تاريخه، ج ٨، ص ٦.

- الأمير شمس الدين سنقر الأعسر، كان مملوك عز الدين أيمن الظاهري نائب الشام، ثم صار إلى المنصور قلاوون، تولى نيابة الإسكندرية ثم شد الدواوين بدمشق، ثم تقلد عدة مناصب أخرى

وبالفعل توجه الأمير شمس الدين سنقر الأعسر إلى مقر إقامتهم بقلعة دمشق بقاعة الرضوان، وأمرهم بجمع حوائجهم وأمتعتهم للانتقال إلى قاعات أخرى، وعند انتقالهم أصدر أمرًا بتفتيشهم تفتيشًا دقيقًا، فعُثر معهم على مجموعة كبيرة من قطع الذهب واللؤلؤ، وغير ذلك من المجوهرات، فأخذت منهم، وكان من بين الذي وجدوه سبحة لؤلؤ تزيد قيمتها عن مائة ألف درهم كانت في يد الشيخ كمال الدين عبدالرحمن، فأخذت منه^(١١٠).

لم يكتف السلطان المنصور قلاوون بذلك، وإنما تبع ذلك بأن أصدر أمره باعتقال أعضاء هذه السفارة، غير أن الشيخ كمال الدين عبدالرحمن لم يحتمل تلك الصدمات التي حدثت له، من مقتل السلطان أحمد توكدار، ثم اعتقاله بدمشق، وأخذ كل ما كان معه من مجوهرات، فلم يلبث أن مات في يوم الجمعة ٢٨ رمضان عام ٦٨٣هـ/ ٩ ديسمبر ١٢٨٤م^(١١١). فما كان من السلطان المنصور قلاوون إلا أن أصدر أمره، بمواراة جثمانه، ودفنه بمقابر الصوفية بدمشق^(١١٢).

أما أعضاء السفارة ومن معهم من الحاشية والغلمان، فقرر اعتقالهم مدة، ثم أطلق سراحهم بعد ذلك، وسمح لهم بالعودة إلى بلادهم^(١١٣). فيما عدا الأمير شمس الدين محمد بن الصاحب، فقد نقل إلى قلعة الجبل بمصر، حيث اعتقل بها مدة ثم أفرج عنه، وتولى

بعد وفاة المنصور قلاوون، وصفه ابن حجر العسقلاني "بأنه كان مهذبًا ذو صرامة"، توفي عام ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م. انظر: ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج ٢، ص ٢٧٣-٢٧٤.

- الأستادار: إحدى وظائف عصر المماليك، يكون شاغلها من أرباب السيوف، ويتولى = التحدث في أمر بيوت السلطان من المطابخ والمشرب خاتاه والحاشية والغلمان. انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٠.

(١١٠) ابن الفرات: تاريخه، ج ٨، ص ٦.

(١١١) شافع بن علي: الفضل الماثور من سيرة السلطان الملك المنصور، ص ١١٦-١١٧.

(١١٢) البرزالي: المقتفي على كتاب الروضتين، ج ٢، ص ٥٤.

(١١٣) شافع بن علي: الفضل الماثور من سيرة السلطان الملك المنصور، ص ١١٧.

بعد ذلك نيابة دار العدل بالديار المصرية^(١١١).

لم يلبث السلطان المنصور قلاوون أن غادر دمشق عائداً إلى الديار المصرية، بعد أن قضى بها ثلاثة أيام فقط، حيث لم تطل إقامته بها، لأنه لم يحضر هذه المرة إلى دمشق إلا لمقابلة سفارة الشيخ كمال الدين عبدالرحمن، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، تلك السفارة التي لم تحقق شيئاً من النجاح، وانتهت بالفشل^(١١٥).



(١١١) ابن الفرات: تاريخه، ج ٨، ص ١٧ المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١، ق ٣، ص ٧٢٣.
- يقول عنه ابن تغري بردي: "الأمير شمس الدين مجد ابن الصاحب شرف الدين إسماعيل بن أبي سعيد بن التيتي الأمدي، أحد الأمراء، ونائب دار العدل بقلعة الجبل، كان رئيساً فاضلاً"، توفي عام ١٣٠٥/٥٧٠٥ م. انظر: النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ٢١٧.
(١١٥) ابن الفرات: تاريخه، ج ٨، ص ٤؛ العيني: عقد الجمان، ج ٢، ص ٣٢٢.

خاتمة

ويتضح من العرض السابق أن: السياسة العدائية التي اتبعتها الدولة الإيلخانية مع دولة المماليك أخذت تتغير، بعد أن اعتنق السلطان أحمد تكودار الإسلام، وحاول إقامة سلام مع السلطان المنصور قلاوون، إلا أن شك الأخير في نوايا مغول فارس أدى إلى عدم عقد ذلك السلام. وأن هذا الشك جعله يتخوف من سفارات السلطان تكودار، مما دفعه إلى أن يتخذ الحيطة والحذر ما يساعد على عدم وقوف هذه السفارات على أحوال دولة المماليك، وعدم احتكاكهم بأحد من أمراء وأهالي مصر والشام.

وفي نفس الوقت؛ فإن السلطان المنصور قلاوون حاول إظهار قوة دولته، وأنه سوف يرد الصاع صاعين، إذا فكر مغول فارس في الاعتداء على ممتلكات المماليك المجاورة لهم. كما أنه أظهر قوة وأبهة سلطنة المماليك لسفراء السلطان أحمد تكودار حتى ينقل هؤلاء السفراء ما يتمتع به دولة المماليك من قوة، وذلك حتى لا يفكر قادتهم في الإغارة على أراضي سلطنة المماليك.

كما أوضحت هذه السفارة ما قام به السلطان أحمد تكودار، خان مغول فارس، من إصلاح لمختلف المساجد والمدارس التي خربت ببغداد، والإنفاق عليها بسخاء، واستعداده للقيام بالأعمال التي تخدم الإسلام والمسلمين في كل الأتحاء، وأنه يعمل من أجل نشر الأمن والأمان والسلام الذي يدعو إليه الإسلام.

غير أن وفاة السلطان أحمد تكودار أدت إلى فشل هذه السفارات، وعدم تحقيق السلام المنشود.

الملحق الأول

رسالة السلطان أحمد تكودار إلى أهالي بغداد^(١١٦)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، لا إله إلا الله، محمد رسول الله. وإنا جلسنا على كرسي الملك، ونحن مسلمون. فيتلقون أهل بغداد هذه البشرى، ويُعتمدون في المدارس والوقوف وجميع وجوه البر ما كان يُعتمد في أيام الخلفاء العباسيين. ويرجع كل ذي حق إلى حقه في أوقاف المساجد والمدارس، ولا يخرجون عن القواعد الإسلامية. وأنتم يا أهل بغداد مسلمون. وسمعا عن النبي ﷺ أنه قال : لا تبرح هذه العصابة الإسلامية مستظهرة إلى يوم القيامة. وقد عرفنا أن هذا الخبر خبر صحيح، ورسول صحيح. ورب واحد أخذ فُرد ضد. فتطيبون قلوبكم وتكتبون إلى البلاد جميعها.

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

(١١٦) محي الدين بن عبدالظاهر : تشریف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، ص ٥.

الملحق الثاني

الرسالة الأولى للسلطان أحمد تكودار إلى السلطان المنصور قلاوون^(١١٧)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، بقوة الله تعالى، بإقبال قا أن، فرمان أحمد إلى سلطان مصر: أما بعد، فإن الله سبحانه وتعالى بسابق عنايته، ونور هدايته، قد كان أرشدنا في عنفوان الصبا وربعان الحداثة، إلى الأقرار بربوبيته، والاعتراف بوحدانيته، والشهادة بمحمد عليه أفضل الصلوات السلام، بصدق نبوته، وخسن الاعتماد في أوليائه الصالحين من عباده في بريته. فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام. فلم نزل نميل إلى إعلاء كلمة الدين، وإصلاح أمور الإسلام والمسلمين، إلى أن أفضى بعد أبينا الجيد وأخينا الكبير نوبة الملك إلينا، فأفاض علينا من جلايب أطافه ولطائفه، ما حقق به آمالنا في جزيل آلائه وعوارفه. وجلا هذي المملكة علينا. وأهدي عقيلتها إلينا. فاجتمع عندنا في قوريلتاي المبارك - وهو المجمع الذي تتنجد فيه الآراء - جميع الإخوان والأولاد والأمراء الكبار، ومقدموا العساكر وزعماء البلاد، وافقت كلمتهم على تنفيذ ما سبق به حكم أخينا الكبير، في إنفاذ الجم الغفير من عساكرنا التي ضاقت الأرض بزحبتها من كثرتها، وملأت الأرض رغباً لعظيم صولتها، وشديد بطشتهم إلى تلك الجهة، بهمة تخضع لها شئم الأطاود وعزمة تلين لها ضم الصلا. ففكرنا فيما تمحضت زبدة عزائهم عنه. واجتمعت أهواؤهم وآراؤهم عليه. فوجدناه مخالفاً لما كان في ضميرنا من اقتناء الخير العام، الذي هو عبارة عن تقوية شعار الإسلام. وألا يصدر عن أوامرنا - ما أمكننا - إلا ما يوجب حقن الدماء، وتسكين الدهماء، وتجري به في الأقطار رخاء نسانم الأمن والأمان، ويستريح به المسلمون في سائر الأمصار في مهاد الشفقة والإحسان، تعظيماً لأمر الله، وشفقة على خلق الله. فآلهمنا الله - تعالى - إطفاء تلك النائرة، وتسكين الفتن الثائرة. وإعلام من أشار بذلك الرأي بما أرشدنا إليه : من تقديم ما يُرجى به شفاء مزاج العالم من الأدواء. وتأخير ما يجب أن يكون آخر الدواء، وأننا لا نحب المسارعة إلى هز النصال للنضال، إلا بعد

(١١٧) محي الدين بن عبدالظاهر : تشریف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، ص ٦-١٠.

إيضاح المحجة، ولا نأذن لها إلا بعد تبين الحق وتركيب الحجة. وقوى عزمنا على ما رأيناه من دواعي الصلاح. وتنفيذ ما ظهر لنا به وجه النجاح. إذ كاز شيخ الإسلام قدوة العارفين كمال الدين، عبدالرحمن الذي هو نعم العون لنا في أمور الدين. فأصدرناه رحمة من الله لمن دعاه. ونقمة على من أعرض عنه وعصاه. وإنفدنا أقصى القضاة قطب الملة والدين، والآتابك بهاء الدين، اللذين هما من ثقات هذه الدولة / الزاهرة، ليعرفاهم طريقتنا. ويتحقق عندهم ما تنطوي عليه لعموم المسلمين جميل نيتنا. وبيئنا لهم أننا من الله على بصيرة، وأن الإسلام يُجِبُّ ما قبله، وأنه تعالى ألقى في قلوبنا أن نثبِّع الحق وأهله، ويشاهدون عظيم نعمة الله على الكافة بما دعانا إليه: من تقديم أسباب الإحسان، ولا يحرموها بالنظر إلى سالف الأحوال فكل يوم هو في شأن. فإن تطلعت نفوسهم إلى دليل تستحكم بسببه دواعي الاعتماد، وحجة يثقون بها من بلوغ المراد، فلينظروا إلى ما ظهر من مآثرنا، مما اشتهر خبره، وعم أثره، فإننا ابتدأنا - بتوفيق الله تعالى - بإعلام أعلام الدين وإظهاره، في إيراد كل أمر وإصداره تقديمًا. وإقامة نواميس الشرع المحمدي على مقتضى قانون العدل الأحمدي إجلالاً وتعظيمًا. وأدخلنا السرور على قلوب الجمهور وعفونا عن كل من اجترح سيئة أو اقترف، وقابلناه بالصفح وقلنا عفا الله عما سلف. وتقدمنا بإصلاح أمور أوقاف المسلمين من المساجد والمشاهد والمدارس، وعمارة بقاع البر والرُّبُط الدوارس، وإيصال حاصلها بموجب عواندها القديمة إلى مستحقيها لشروط واقفيها، ومنعنا أن يلتمس شيء مما استحدث عليها، وألا يغير أحد ما قُرِّرَ أولاً فيها. وأمزنا بتعظيم أمر الحاج وتجهيز وفدها، وتأمين سبلها وتسيير قوافلها. وإننا أطلقنا سبيل التجار المترددين إلى تلك البلاد ليسافروا بحسب اختيارهم على أحسن قواعدهم، وخرمنا على العساكر والقراغول والشحاني في الأطراف التعرض بهم في مصادرهم ومواردهم، وقد كان صادف قراغولنا جاسوسًا في زي الفقراء كان سبيل مثله أن يُهلك، فلم يُهزق دمه لخزمة ما حرّمه الله تعالى، وأعدناه إليهم. ولا يخفى عنهم ما كان في إنفاذ الجواسيس من الضرر العام للمسلمين، فإن عساكرنا طالما رأوهم في زي الفقراء والنسائك وأهل الصلاح

فساءت ظنونهم في تلك الطوائف، فقتلوا منهم من قتلوا، وفعلوا بهم ما فعلوا، وارتفعت الحاجة بحمد الله تعالى إلى ذلك بما صدر إنذنا به من فتح الطريق وتردد التجار وغيرهم. فإذا أمعنوا الفكر في هذ الأمور وأمثالها لا يخفى عنهم أنها أخلاق جبلية طبيعية وعن شوائب التكلّف والتصنّع عربية. وإذا كانت الحال على ذلك فقد ارتفعت دواعي المضرة التي كانت موجبة المخالفة، فإنها كانت بطريق الدين، والذب عن حوزة المسلمين : فقد ظهر بفضل الله تعالى في دولتنا النور المبين. وإن كانت لما سبق من الأسباب فمن تحزى الآن طريق الصواب، فإن له عندنا الزلفى وحسن مآب. وقد رفعنا الحجاب، وأثينا بفصل الخطاب وعرفناهم ما عزمنا عليه بنية خالصة لله تعالى على استئنافها، وحرّمتنا على جميع عساكرنا العمل بخلافها، لنرضي بها الله والرسول، وتلوح على صفحاتها آثار الإقبال والقبول. وتستريح من اختلاف الكلمة هذه الأمة، وتنجلي بنور الائتلاف ظلمة الاختلاف والعُمة. فتسكن في سابغ ظلها البوادي والحواضر، وتقرّ القلوب التي بلغت من الجهد الحناجر، ويعفي عن سالف الهنات والجرائر، فإن وفق الله سلطان مصر لاختيار ما فيه صلاح العالم، وانتظام أمور بني آدم، فقد وجب عليه التمسك بالغروة الوثقى، وسلوك الطريقة المثلى بفتح أبواب الطاعة والاتحاد، وبذل الإخلاص بحيث تنعمر تلك الممالك والبلاد، وتسكن الفتنة الثائرة، وتغمد السيوف الباترة، وتحل الكافة أرض الهويني وروض الهدن، وتخلص رقاب المسلمين من أغلال الذل والهون. وإن غلب سوء الظن بما تفضل به واهب الرحمة، ومنع عن معرفة قدر هذه النعمة، فقد شكر الله مساعينا وأبلى عذرتنا، وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا، والله الموفق للرشاد والساداد، وهو المهيم على البلاد والعباد، وحسبنا الله وحده.

الملحق الثالث

رسالة السلطان المنصور قلاوون إلى السلطان أحمد تكدوار

رداً على رسالته الأولى^(١١٨)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، بقوة الله تعالى بإقبال دولة السلطان الملك المنصور:
كلام قلاوون إلى السلطان أحمد:

أما بعد حمد الله الذي أوضح بنا ولنا للحق منهاجا، وجاء بنا فجاء نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله أفواجا. والصلاة على سيدنا ونبينا محمد الذي فضله الله على كل نبي، نُجِّي به أمته، وعلى كل نبي ناجى، صلاة تنير ما دجا وتُبِير من داجى. فقد وصل الكتاب الكريم، المتلقى بالتركيم، المشتمل على النبا العظيم : من دخوله في الدين، وخروجه عن خلف من العشيبة والأقربين.

ولما فتح هذا الكتاب فاتح بهذا الخير للمعلم المعلم. والحديث الذي صحح عند أهل الإسلام إسلامه، وأصح الحديث ما روى عن مسلم. وتوجهت الوجوه بالدعاء إلى الله سبحانه في أن يثبته على ذلك بالقول الثابت، وأن يثبت حب حنّ هذا الدين في قلبه كما أنبت أحسن النبت من أخصن المنابت.

وحصل التأمل للفصل المبتدأ بذكره من حديث إخلاصه النيّة في أول العمر، وعنفوان الصبا إلى الإقرار بالوحدانية، ودخوله في الملة المحمّدية، بالقول والعمل والنية. فالحمدُ لله على أن شرح صدره للإسلام، وألهمه شريف هذا الإلهام، كحمدنا لله على أن جعلنا من السابقين الأولين إلى هذا المقام والمقام، وثبت أقدامنا في كل موقف اجتهاد وجهاد تنزل دونه الأقدام. وأما إفضاء النوبة في الملك وميراثه بعد والده وأخيه الكبير إليه، وإفاضة جلايب هذه المواهب العظيمة عليه، وتوقله الأسرة التي طهرها إيمانه، وأظهرها سلطانه، فلقد أورثها الله من اصطفاه من عباده، وصدّق المبشرات له من كرامة أولياء الله وعبّاده.

(١١٨) محي الدين بن عبد الظاهر : تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، ص ١٠-١٦.

وأما حكاية اجتماع الإخوان والأولاد والأمراء الكبار ومقدمي العساكر وزعماء البلاد في مجمع قور يلتاي الذي تتقدح فيه زبدة الآراء، وأن كلمتهم قد اتفقت على ما سبقت به كلمة أخيه الكبير في إنفاذ العساكر إلى هذا الجانب، وأنه فُكر فيما اجتمعت عليه آراؤهم، وانتهت إليه أهواؤهم فوجده مخالفاً لما في ضميره؛ إذ قصده الصلاح، ورأيه الإصلاح، وأنه أطفأ تلك النائرة وسكن تلك الثائرة فهذا فعل الملك المتقي، المشفق من قومه على من بقي، المفكر في العواقب، بالرأي الثاقب، وإلا فلو تركوا وآراءهم حتى تحملهم الغرّة، لكانت تكون هذه الكرة هي الكرة. لكن هو كمن خاف مقام ربه نهى النفس عن الهوى، ولم يوافق قول من ضلّ ولا فعل من غوى. وأما القول منه: إنه لا يحب المسارعة إلى المقارعة إلا بعد إيضاح المحجة، وتركيب الحجة، فبانظامه في سلك الإيمان صارت حجتنا وحجته المترتبة. على من غدت طواعيته عن سلوك هذه الحجة منتكبة. فإن الله تعالى والناس كافة قد علموا أن قيامنا إنما هو لنصرة هذه الملة، وجهادنا واجتهادنا، إنما هو على الحقيقة لله. وحيث قد دخل معنا في الدين هذا الدخول، فقد ذهبت الأحقاد وزالت الدُخول، وبارتفاع المنافرة، تحصل المضافرة. فالإيمان كالبنيان يشد بعضه ببعض ومن أقام مناره فله أهل بأهل في كل مكان، وجيران بجيران في كل أرض، وأما ترتيب هذه القواعد الجثة على إنكار شيخ الإسلام، قدوة العارفين كمال الدين عبدالرحمن - أعاد الله من بركاته - فلم تُر لولي قبله كرامة كهذه الكرامة، والرجاء ببركته وبركة الصالحين أن تصيح كل دار للإسلام دار إقامة، حتى تتم شرائط الإيمان، ويعود شمل الإسلام مجتمعاً كأحسن مما كان. ولا يُنكر لمن لكرامته ابتداء هذا التمكن في الوجود، أنّ كل حق ببركته إلى نصابه يعود.

وأما إنفاذ أقصى القضاة قطب الملة والدين، والأتابك بهاء الدين الموثوق بنقلهما في إبلاغ رسائل هذه البلاغة، فقد حضرا وأعادا كل قول حسن من حوالي أحواله وخَطرات خاطره ومنتظرات ناظره. ومن كل ما يُشكر ويحمد، ويعنعن حديثهما فيه عن مسند أحمد.

وأما الإشارة إلى النفوس إن كانت لها تطلع إلى إقامة دليل، تستحکم بسببه دواعي الود الجميل فلينظر إلى ما ظهر من مآثره، في موارد الأمر ومصادره، ومن العدل

والإحسان، بالقلب واللسان، والتقدم بإصلاح الأوقاف والمساجد والربط وتسهيل السبل للحج إلى غير ذلك. فهذه صفات من يريد لملكه الدوام. فلما ملك عدل، ولم يل إلى لؤم من عدا ولا لؤم من عدل. على أنها وإن كانت من الأفعال الحسنة، والمثوبات التي تستنتق بالدعاء الألسنة، فهي واجبات تؤدي، وقربات بمثلها يبدى، وهو أكبر من أنه بإجراء أجر غيره يفخر أو عليه يقتصر، أو له يدخر. بل إنما تفخر الملوك الأكاير برد ممالك على ملوكها، ونظمها على ما كانت عليه في سلوكها. وقد كان والده فعل شيئاً مع الملوك السلجوقية وغيرهم وما كان أحد منهم يدينه بدين، ولا دخل معه في دين. وأقرهم في ملكهم، وما زحزهم عن ملكهم ويجب عليه ألا يرى حقاً مغتصباً وبأبى إلا رده، ولا باعا ممتداً بالظلم ويرضى إلا صدّه. حتى إن أسباب ملكه تقوى، وأيامه تتزّين بأفعال التقوى.

وأما تحريمه على العساكر والقراغولات والشحاني بالأطراف التعرض إلى أحد بالأذى وإصفاء موارد الواردين والصادرين من شوائب القذى فمن حين بلغنا تقدمه بمثل ذلك تقدمنا أيضاً بمثله إلى سائر نوابنا بالرحبة والبيرة وعينتاب، وإلى مقدمي العساكر بأطراف تلك الممالك وإذ اتحد الإيمان وانعقدت الأيمان تحتم هذا الإحكام، وترتب عليه جمع الأحكام.

وأما الجاسوس الفقير الذي أمسك وأطلق، أن بسبب من يتزيا من الجواسيس بزى الفقراء قتل جماعة من الفقراء الصلحاء رجماً بالظن فهذا باب من تلقاء ذلك الجانب كان فتحه، وزند من ذلك الطرف كان قدحه. وكم من متزي بفقير من ذلك الجانب سيّروه، وإلى الاطلاع على الأمور سيّروه. وأظفر الله منهم بجماعة كبيرة فرقع عنهم السيف، ولم يكشف ما غطوه بخرقه الفقر بلم ولا كيف. وأما الإشارة إلى أنّ باتفاق الكلمة تنجلي ظلم الاختلاف، وتدرّ بها الخيرات الأخلاف، ويكون بها صلاح العالم، وانتظام شمل بني آدم، فلا راد لمن فتح أبواب الاتحاد وجنّح إلى السلم وما حاد ولا حاد. ومن ثني غنانه عن المكافحة، كان كمن مذبذبة المصالحة للمصافحة. والصلح وإن كان سيد الأحكام فلا بدّ من أمور تبني عليه قواعده، ويعلم من مدلوله فوائده. فالأمور المسطورة في كتابه هي كليات

لازمة يعمر بها كل معنى ومعلم، إن تهيأ صلح أو لم. وثم أمور لابد وأن تحكم، وفي سلكها عقود العهود تنظم. قد تحملها بلسان المشافهة التي إذا أوردت أقبلت إن شاء الله عليها النفوس، وأحرزتها صدور الرسائل كأحسن ما تحرزه سطور الطروس. وأما الإشارة إلى الاستشهاد بقوله [وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا] فما على هذا النسب من الود ينسج ولا على السبيل ينهج. بل لفضل المتقدم في الدين ونصره عهود ترعى، وإفادات تستدعى. وما برح الفضل للأولوية وإن تناهي العدد للواحد الأول، ولو تأمل مورد هذه الآية في غير مكانها لتروي وتأول :

وعندما انتهينا إلى جواب ما لعله يجب عنه الجواب من فصول الكتاب، سمعنا المشافهة التي على لسان أفضى القضاة قطب الدين فكان منها ما يناسب ما في هذا الكتاب : من دخوله في الدين، وانتظام عقده بسلك المؤمنين، وما بسطه من معدلة وإحسان، مشكورة بلسان كل إنسان فالمنة لله عليه في ذلك فلا يثبها منه بامتنان. وقد أنزل الله على رسوله في حق من آمن بإسلامه : [قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان] .

ومن المشافهة أن الله قد أعطاء من العطاء، ما أعناه عن امتداد الطرف إلى ما في يد غيره من أرض وماء، فإن حصلت الرغبة في الاتفاق على ذلك فالأمر حاصل. فالجواب أن ثم أمورًا متى حصلت عليها الموافقة، ابتنى على ذلك حكم المصاحبة والمصادقة ورأى الله والناس كيف يكون تصافينا، وإذلال عدونا وإعزاز مصافينا. فكم من صاحب وجد حيث لا يوجد الأب والأخ والقرابة، وما تم أمر هذا الدين واستحكم في صدر الإسلام إلا بمضافرة الصحابة. فإن كانت له رغبة مصروفة إلى الاتحاد وحسن الوداد، وجميل الاعتضاد، وكبت الأعداء والأضداد، والاستناد إلى من يشتد المر به عند الاستناد فالرأي إليه في ذلك.

ومن المشافهة أنه إن كانت الرغبة معتدة الأمل إلى ما في يده من أرض وماء فلا حاجة إلى إنفاذ المغيرين الذين يؤذون المسلمين بغير فائدة تعود. فالجواب عن ذلك أنه

كف كف الغدوان وترك المسلمين وما لهم من ممالك سكنت الدهماء، وحقنت الدماء وما أحقه بالآل ينهي عن خُلُق ويأتي مثله، ولا يأمر ببر وينسى فعله، وقنغر طاي بالروم، وهي بلاد في أيديكم وخراجها يجبي إليكم، وقد سفك فيها وقتك، وسبي وهتك، وباع الأحرار، وأبى إلا التماذي على الإضرار والإصرار.

ومن المشافهة أنه حصل التصميم على ألا تبطل هذه الغارات ولا تغتر عن هذه الإثارات، فيعين مكاناً يكون فيه اللقاء، ويعطي الله النصر لمن يشاء. فالجواب عن ذلك أن الأماكن التي اتفق فيها ملتقى الجمعين مرّة ومرّة ومرّة قد عاف مواردها من سلم من أولئك القوم، وخاف أن يعاودها فيعاوده مصرع ذلك اليوم. فوقت اللقاء علمه عند الله فلا يقدر وما النصر إلا من عند الله لمن أقدر لا لمن قَدَّر. ولا نحن ممن ينتظر فلتة، ولا من له إلى غير ذلك لفتة. وما أمر ساعة النصر إلا كالساعة لا تأتي إلا بغتة. والله الموفق لما فيه صلاح هذه الأمة والقادر على إتمام كل خير ونعمة.

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>



الملحق الرابع

الرسالة الثانية للسلطان أحمد تكودار إلى السلطان المنصور قلاوون^(١١٩)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، بقوة الله تعالى بإقبال قا آن. فرمان أحمد. إلى سلطان مصر. أما بعد فالذي يجب عل العاقل بذل الجُهد : وترك الإهمال والتواني، واستنفاد الوسع في اقتناء الذكر الباقي الذي هو العمر الثاني، وقد انحصر الثناء الجميل والثواب الجزيل في التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله، واستعمال العدل والنصفة المندوب إليها. وأي عدل ونصفة أعظم قدراً، وأعلى ذكراً في سائر الأصقاع والممالك، من إنقاذ الأنفس بجريعة الذفن من المهالك وإطفاء نائرة أكباد حرى، وقلوب جرحى، ومن أحيائها فكانما أحياء. ولما لم يكن لنا بفضل الله العظيم، وإحسانه الجسيم افتقار ولا بُغية، ولم يبق في ضميرنا إرادة ولا منية، سوى رفاهية العالم، وطمانينة بني آدم، خصوصاً الطائفة الإسلامية، وأهل الملة الخنيفية أنفذنا الألبية إلى إخواننا : نُوقاي آقا وتودامتكو وغيرهما، ونبهناهم على أن الملك العقيم الذي ادخره لنا جدنا جنكيزخان وآباؤنا الكرام بعد الصبر على المشقة في تحصيله والمقاساة، وتحمل أعباء الشدائد والمعاناة، بمجرد النزاع والخصام، وخلاف الوفاق واختلاف الكلام قد أشرف على شحوب بهجته وبهائه، وتكدير رونق صفاء مائة. والآن آن أن نستبدل وحشة النزاع بأنس الصلح، ونتعوّض عن غيهب ليلة النغار والنقار تباشير الصبح، وتغمد السيوف البواتر التي استلّت من الأعماد، ويعفى أثر الهرج والمرج ونعرض عن الأغراض والأحقاد ويتفق الجميع على القيام بواجب كوج قان وخدمته، والالتزام بواجب طاعته، والاشتغال على ما ينوط بمصلحته. وحيث تأملوا ذلك بعين البصيرة، ورأى من حنكه دوران الفلك والتجربة تبين لهم أن هذا الرأي محض شور لا يشوبه غش ولا مدهانة، وخالص تنبيه لا يغادره سوى زبدة المناصحة. فقالوا: إن الذي وقع من الخلاف كان بين من قد قضى نحبه من الآباء والأسلاف ولم تجر بيننا

(١١٩) محي الدين بن عبدالظاهر : تشریف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور. ص ٦٩-٧١.

مخاشنة، ولا وقع خلف ولا مشاحنة، فعدنا إلى ما كان عليه آباؤنا القديما الكرام، من الاتفاق والائتلاف وحفظ العهد والذمام. والتزمنا ألا ينحل عقد هذا النظام. والله الموفق للرشاد والهادي إلى السداد. ولما يفرغ البال من إصلاح ذات البين، واستحكمت مرائر الائتلاف بين الجهتين، أنفذنا الأليجية بعد النية الخالصة لله وللرسول تسكيناً للفتن الشائرة، وإطفاء للهبب تلك النائرة، وحقناً لدماء المسلمين، وسد لثمة الدين. فكانت خلاصة جوابه وزيادة خطابه عند وقوفه على ما كتب به إليه أنه : لو أنفذ أبونا شيخ الإسلام قدوة العارفين كمال الدين عبدالرحمن لكنت أسكن إلى أمانته وأخلد إلى ديانتته وأسمع منه ما لم يحتمل إبداعه الكتب وأشافهه بما عندي من المصالح وأخاطبه بما ينطوي عليه ضميري للمسلمين من النصائح. هذا وغير خاف أنه يعز علينا بعباده، ويوحشنا بينه ورفاقه. وربما اتصل به ما نستفيد من حسن معاشرته، وجميل مصاحبته. وحيث كان التماسه موجبا لإشاعة الخير العام، وإذاعة شعار الإسلام، رضيانا بتوجهه إلى جهته، إسعافاً لمقترحه، وجعلناه في اتخاذ العهد واليمين، بدلاً عن شمالنا واليمين، ولم يكن بين كلامنا وكلامه بون، إذ هو لنا في أمور الدين نعم العون. والتزمنا بكل ما عساه يسنده إلينا، وبما يرى ثقة بأنه الناصح الذي لا ينطق عن الهوى. وربما شردمة من الجهال (من الجهتين) من أهل الشقاق والنفاق لا تجتمع كلمتهم على الوفاق، تنافى طبائعهم الصلح والاتفاق، يريدون ليظفنونوا نور الله بأفواههم والله متم نوره، لاختلاف ملتهم، وطمعا في إدراك بغيتهم. فالواجب ألا تسمع أقوالهم، وتترك أفعالهم، أولئك الذين حببت أعمالهم، ومن المعلوم أن كل أمر يمكن اعتماده على الوجه الجميل بحيث تنحسم فيه مواد القال والقليل، لا ينبغي أن تكون الحال فيه بالضد مخصوصاً في الخطب الإذ، والأمر الجذ.

" الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله " وكتب في أوائل ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين وستمائة. بمقام تبريز.
والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

- القرآن الكريم.
- ابن الأثير : علي بن محمد (ت . ٦٣٠ هـ) :
- الكامل في التاريخ، نشر دار صادر، بيروت ١٩٦٥م.
- ابن أبي أصيبعة : موفق الدين أبو العباس أحمد (ت ٦٦٨ هـ) :
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، نشر دار الثقافة، بيروت ١٩٨١م.
- ابن أبيك الدوداري : أبو بكر بن عبدالله (ت ٧٣٦ هـ) :
- كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء الثامن المعروف باسم : الدرّة الزكية في أخبار الدولة التركية، تحقيق : أولخ هارمان، القاهرة ١٩٧١م.
- ابن أبيك الصفدي : صلاح الدين خليل (ت ٧٦٤ هـ) :
- أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق : فالح أحمد البكور، بيروت ١٩٩٨م.
- البرزالي : أبو محمد القاسم بن محمد (ت ٧٣٩ هـ) :
- المقتفي في كتاب الروضتين المعروف باسم : تاريخ البرزالي، تحقيق : عمر عبدالسلام تدمري، بيروت ٢٠٠٦م.
- بيبرس الدوادر : ركن الدين بيبرس المنصوري (ت ٧٢٥ هـ) :
- زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، الجزء التاسع، تحقيق : زبيدة عطا، القاهرة د.ت؛ تحقيق : دونالد رتشاردز، بيروت ١٩٩٨م.
- ابن تغري بردي : جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤ هـ) :
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نشر دار الكتب المصرية، د.ت.
- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق : محمد محمد أمين، القاهرة ١٩٨٥م.
- الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق : محمد محمد أمين، القاهرة ١٩٨٨م.

- الجويني : علاء الدين عطا ملك (ت ٦٨٠هـ) :
- تاريخ فاتح العالم، جهان كشاي، ترجمة : السباعي محمد السباعي، القاهرة ٢٠٠٧م.
- ابن حبيب : الحسن بن عمر (ت ٧٧٩هـ) :
- تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة ١٩٧٦م.
- ابن حجر العسقلاني : شهاب الدين أحمد (ت ٨٥٢هـ) :
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، القاهرة د.ت.
- ابن خلدون : عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ) :
- العبر وديوان المبتدأ والخبر، نشر مطبعة بولاق مصر ١٢٨٤هـ.
- خواندمير : غياث الدين بن همام الدين (ت ٩٤٢هـ) :
- دستور الوزراء، ترجمة: حربي أمين سليمان، القاهرة ١٩٨٠م.
- الذهبي : أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ) :
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، بيروت ٢٠٠٥م.
- رشيد الدين الهمذاني : فضل الله أبو الخير بن موفق الدولة (ت ٧١٨هـ) :
- جامع التواريخ، ترجمة: محمد صادق نشأت وآخرين، القاهرة ١٩٦٠م.
- شافع بن علي : ناصر الدين شافع السعدي الرواحي (ت ٧٣٠هـ) :
- الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، بيروت ١٩٩٨م.
- ابن شاکر الكتبي : محمد بن شاکر بن أحمد (ت ٧٦٤هـ) :
- فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، بيروت ١٩٧٣م.
- أبو شامة : شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل (ت ٦٦٠هـ) :
- تراجم رجال القرنين السادس والسابع، المعروف باسم : الذيل على الروضتين،

نشر عزت العطار، بيروت ١٩٧٤م.

- ابن العبري : أبو الفرج بن هرون (ت ٦٨٥هـ) :

• تاريخ مختصر الدول، عني بتصحيحه الأب أنطون اليسوعي، لبنان ١٩٨٣م.

- ابن العميد : الشيخ جريس بن العميد (ت ٦٧٢هـ) :

• أخبار الأيوبيين نشر Claud Cahen في :

Bulletin d'etudes Orientales, Paris ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠.

- العيني : بدر الدين أبو محمد (ت ٨٥٥هـ) :

• عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد محمد أمين، القاهرة ٢٠١٠م.

- أبو الفدا : عماد الدين إسماعيل (ت ٧٣٢هـ) :

• المختصر في أخبار البشر، نشر المطبعة الحسينية، القاهرة ١٣٢٥هـ.

- ابن الفرات : ناصر الدين محمد بن عبدالرحمن (ت ٨٠٧هـ) :

• تاريخ ابن الفرات، الجزء السابع، تحقيق: قسطنطين زريق، بيروت د.ت.

- القزويني : زكريا بن محمد (ت ٦٨٢هـ) :

• آثار البلاد وأخبار العباد، نشر دار صار، بيروت ١٩٧٩م.

- ابن الفوطي : كمال الدين عبدالرازق (من علماء القرن الثامن الهجري) :

• الحوادث المعروف باسم : الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، تحقيق: بشار عواد،

بيروت ١٩٩٧م.

- القلقشندي : أبو العباس أحمد (ت ٨٢١هـ) :

• صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، نشر دار الكتب المصرية، د.ت.

- ابن كثير : أبو الفدا إسماعيل (ت ٧٧٤هـ) :

• البداية والنهاية، نشر مكتبة المعارف، بيروت ١٩٨٥م.

- مفضل بن أبي الفضائل : (توفي بعد عام ٧٥٩هـ) :

• النهج السديد فيما بعد تاريخ ابن العميد نشر بلوشيه Blochet في :

Patrologia Orientales, Paris □□□□.

- المقريري : تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ) :
- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، القاهرة ١٩٥٧م.
- النسوي : محمد بن أحمد (من علماء القرن السابع الهجري) :
- سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، نشر وتحقيق: حافظ أحمد حمدي، القاهرة ١٩٥٣م.
- النويري : شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت ٧٣٣هـ) :
- نهاية الأرب في فنون الأدب، الجزء التاسع والعشرون، تحقيق : محمد ضياء الدين الريس، القاهرة ١٩٩٢م، الجزء الواحد والثلاثون، تحقيق: السيد الباز العريني، القاهرة ١٩٩٢م.
- ابن الوردي : زين الدين عمر (ت ٧٥٠هـ) :
- تتمة المختصر في أخبار البشر، المعروف باسم: تاريخ ابن الوردي، تحقيق: أحمد رفعت البنداري، بيروت ١٩٧٠م.
- ياقوت الحموي : شهاب الدين أبو عبدالله (ت ٦٢٦هـ) :
- معجم البلدان، نشر دار صادر، بيروت، ١٩٥٧م.
- اليونيني :
- ذيل مرآة الزمان، نشر وزارة التحقيقات بالهند - حيدر آباد ١٩٦٠م.
- حوادث أعوام ٦٩٧-٧١١هـ، تحقيق: حمزة عباس، أبو ظبي ٢٠٠٧م.

ثانياً : المراجع :

- السيد الباز العريني : المغول، بيروت ١٩٨١م.
- حامد زيان : سقوط بغداد، مقال منشور بمجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة، فرع بني سويف، العدد الخامس، أكتوبر ٢٠٠٣م.
- خليل أدهم : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة، ترجمة: أحمد السعيد سليمان، القاهرة ١٩٧٢م.
- رجب محمد عبدالحليم : انتشار الإسلام بين المغول، القاهرة ١٩٨٦م.
- زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة زكي محمد حسن وآخرون، القاهرة ١٩٥٢م.
- سعيد عاشور : العصر المماليكي في مصر والشام، القاهرة ١٩٦٥م.
- عباس إقبال : تاريخ إيران بعد الإسلام، ترجمة: محمد علاء منصور، القاهرة ١٩٩٠م.
- علي إبراهيم حسن : تاريخ المماليك البحرية، القاهرة ١٩٦٧م.
- فؤاد عبدالمعطي الصبياح : الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين، الدوحة ١٩٨٧م.
- ماير : الملابس المملوكية، ترجمة: صالح الشيتي، القاهرة د.ت.
- محمد أسد صفا : جنكزيخان، بيروت ١٩٨٨م.
- محمد دبر سياقي : السلطان جلال الدين خوارزم شاه في ميزان التاريخ، ترجمة أحمد الخولي، القاهرة ٢٠٠٥م.
- Howorth : History of the Mongols, London □□□□.